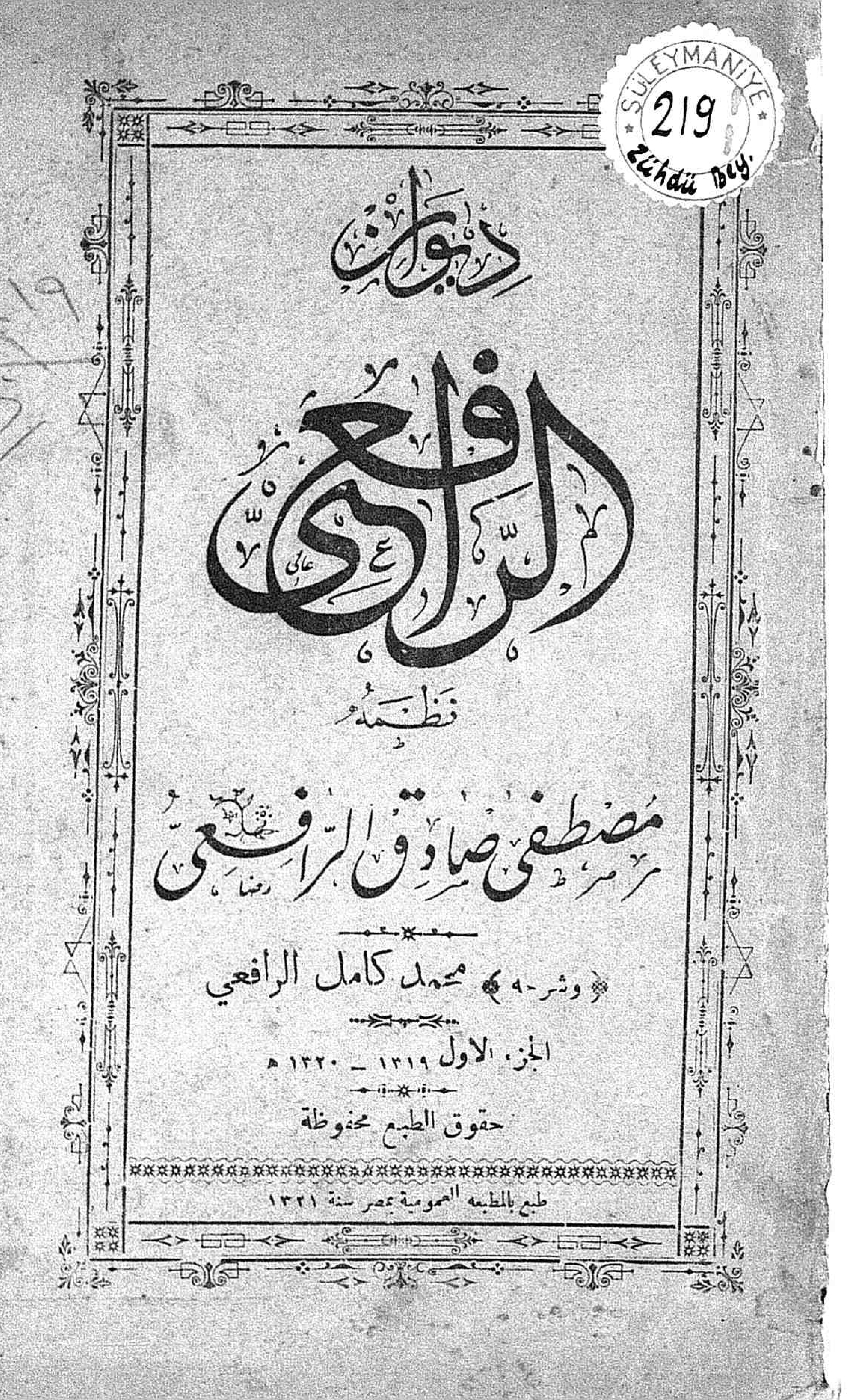


ديوان الرافعي

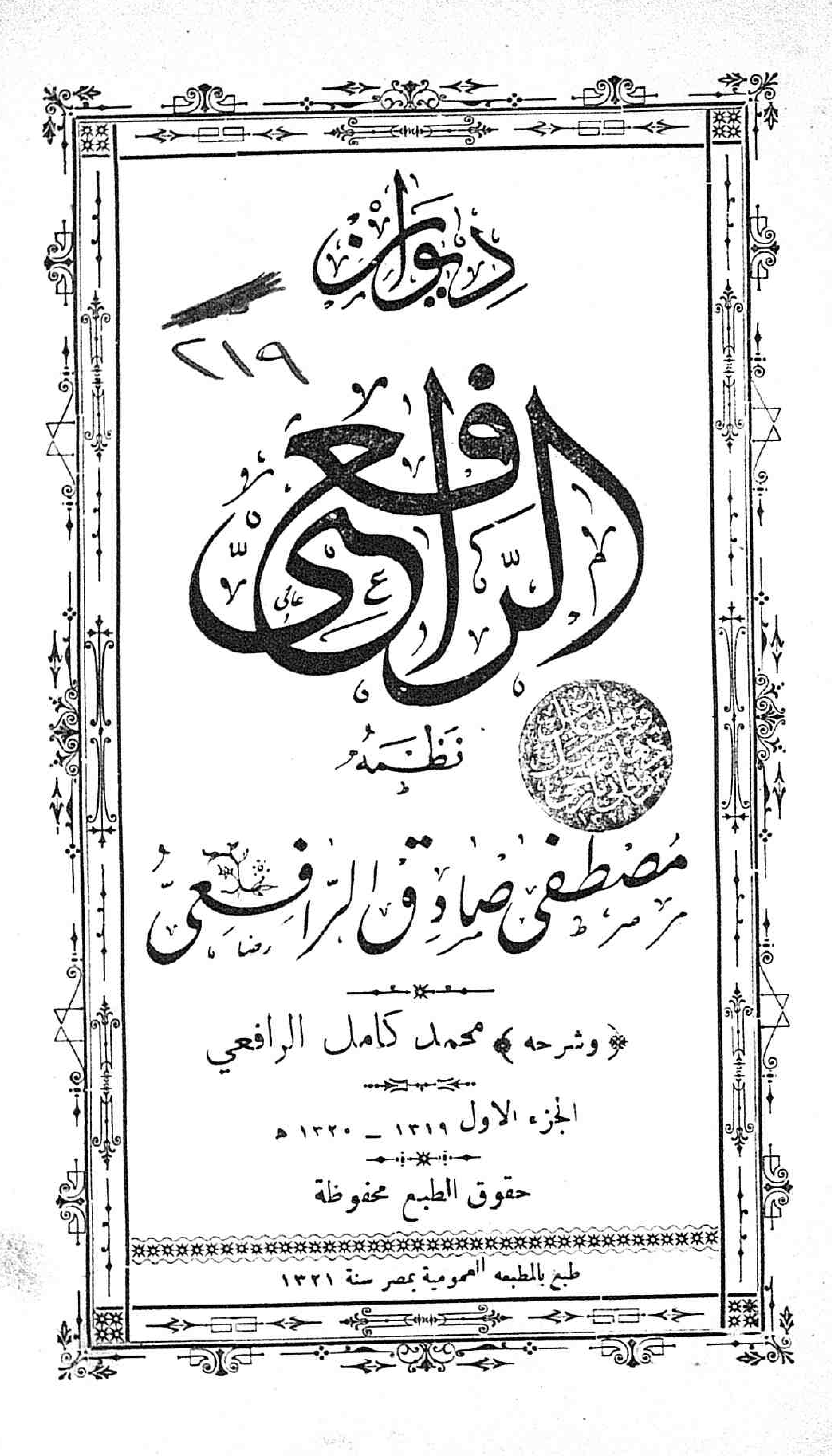
نظمه

مصطفى صادق الرافعي

وشرحه محمد كامل الرافعي

الجزء الاول ١٣١٩ ـ ١٣٢٠ هـ

طبع بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٣٢١



ديوان الرافعي

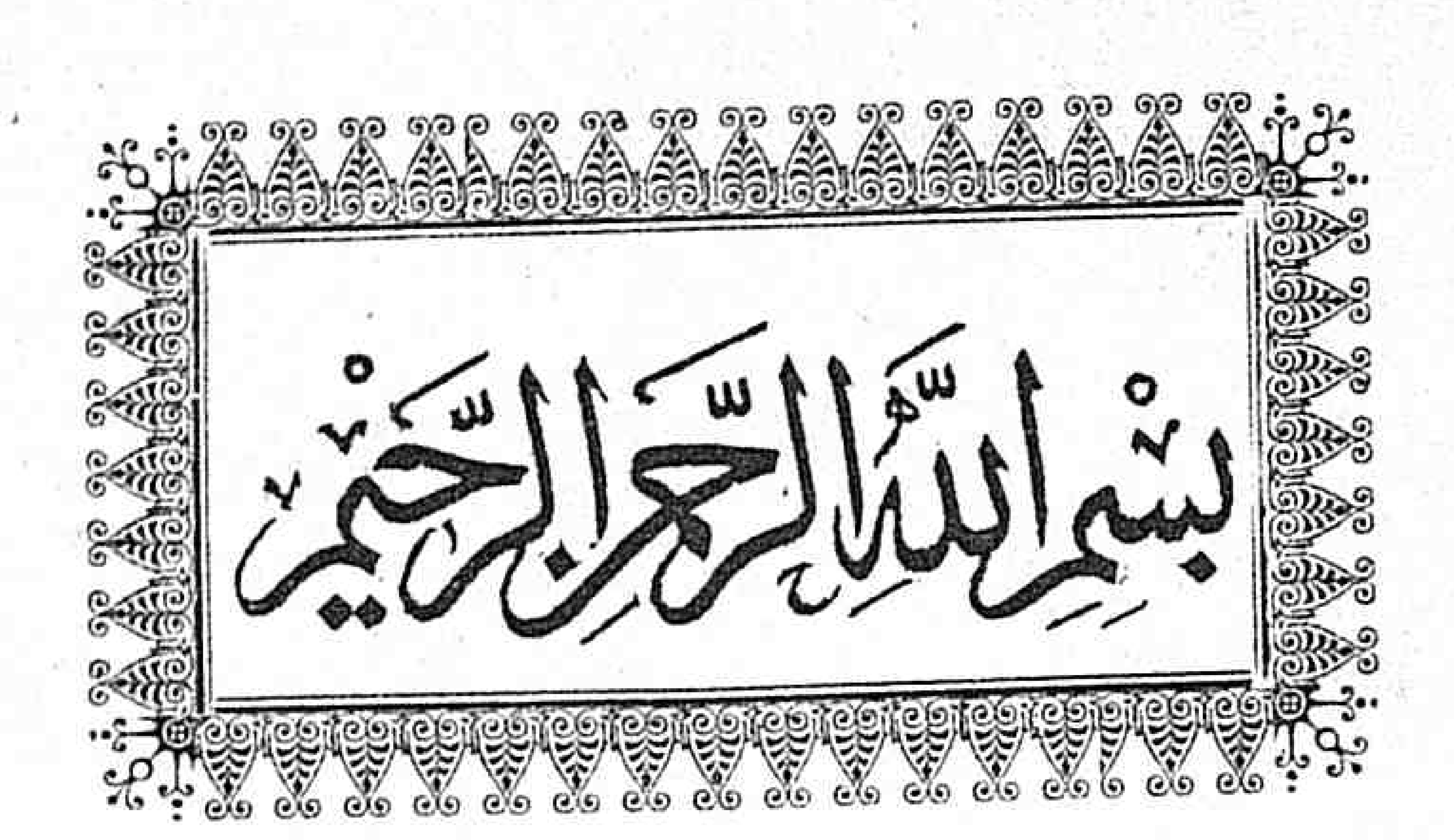
نظمه

مصطفى صادق الرافعي

وشرحه محمد كامل الرافعي

الجزء الاول ١٣١٩ _ ١٣٢٠ هـ

طبع بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٣٢١



كلمة الناظم

أول الشعر اجتماع أسبابه . وانما يرجع في ذلك الى طبع صقلته الحكمة وفكر جلا صفحته البيان. فما الشعر الا لسان القلب اذا خاطب القلب . وسفير النفس اذا ناجت النفس . ولا خير في لسان غير مبين . ولا في سفير غير حكيم .

ولو كان طيراً يتغرد لكان الطبع لسانه . والرأس عشه . والقلب روضته ولكان غناؤه ما تسمعه من أفواه المجيدين من الشعراء . وحسبك بكلام تنصرف اليه كل جارحه . وتضم عليه كل جانحه . ويجنى من كل شيء حتى لتحسب الشعراء من النحل تأكل من كل الثمرات فيخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس .

وكأنما هو بقية من منطق الانسان اختبأت في زاوية من النفس فما زالت بها الحواس حتى وزنتها على ضربات القلب وأخرجتها بعد ذلك الحان

بغير ايقاع الا تراها ساعة النظم كيف تتفرغ كلها ثم تتعاون كأنما تبحث بنور العقل عن شيء غاب عنها في سويداء الفؤاد وظلماته . لذلك كان أحسن الشعر ماتتغنى به قبل عمله وهي طريقة تفنن فيها الشعراء حتى لكان الحطيئة يعوى في أثر القوافي عواء الفصيل في أثر أمه .

وترى المجيد من أهل الغناء اذا رفع عقيرته يتغنى ذهب في التحرك مذاهب حتى كأنما ينتزع كل نغمة من موضع في نفسه فيتألف من ذلك صوت اذا أجال حلقه فيه وقعت كل قطعة منه في مثل موضعها من كل من يسمع فلا يلبث أن يستفزه طربه . كأنما انجذب قلبه وتصبو نفسه . كأنما أخذ حسه . لافرق في ذلك بين أعجمي وعربي ومن أجل هذا ترى أحسن الاصوات يغلب على كل طبع وانما الشاعر والمغني في جذب القلوب سواء . وفي سحر النفوس أكفاء . الا أن هذا يوحى الى القلب وذاك ينطق عنه . وأحدهما يفيض عليه والثاني يأخذ منه . والويل لكليهما اذالم يطرب هذا ولم يعجب ذاك .

والشعر موجود في كل نفس من ذكر وأنثى . فانك لتسمع الفتاة في خدرها . والمرأة في كسر بيتها . والرجل وقد جلس في قومه . والصبي بين اخوته يقصون عليك أضغاث أحلام فتجد في أثناء كلامهم من عبق الشعر مالو نسمته لفغمك . وحسبك ان تكسر وسادك تحدث اليهم فتراه طائراً بين أمثالهم وفي فلتات ألسنتهم وهو كأنما قد ضل اعشاشه . ولقد نبغ فيه من نساء هذه الامة شموس سطعن في سماء البيان . وطلعن في أفق البلاغة ولا يزال الناس الى اليوم يروون للخنساء وجنوب وعلية وعنان ونزهون وولادة وغيرهن وبحسبك قول النواسي ماقلت الشعر

حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء وليلى .

ولو كان الشعر هذه الالفاظ الموزونة المقفاة لعددناه ضرباً من قواعد الاعراب لايعرفها الا من تعلمها ولكنه يتنزل من النفس منزلة الكلام فكل انسان ينطق به ولا يقيمه كل انسان . وأما مايعرض له بعد ذلك من الوزن والتقفية فكما يعرض للكلام من استقامة التركيب والاعراب . وانك انما تمدح الكلام باعرابه ولا تمدح الاعراب بالكلام

ولم أقرأ اجمع فيه من قول حكيم العصر . وامام الافتاء في مصر . « لو سألوا الحقيقة أن تختار لها مكانا تشرف منه على الكون لما اختارت غير بيت من الشعر » ولا فيما قالوه في الشعراء أجمع من قول كعب الاحبار « الشعراء أناجيلهم في صدورهم تنطق ألسنتهم بالحكمة » .

ولم يكن لاوائل العرب من الشعراء الا الأبيات يقولها الرجل في الحاجة تعرض له كقول دويد بن زيد حين حضره الموت وهو من قديم الشعر العربي

اليوم يبني لدويد بيته ... لو كان للدهر بلى أبليته

أو كان قرني واحدا كفيته

وانما قصدت القصائد على عهد عبد المطلب أو هاشم بن عبد مناف . وهناك رفع امرؤ القيس ذلك اللواء وأضاء تلك السماء التي ماطاولتها سماء . وهو لم يتقدم غيره الا بما سبق اليه مما اتبعه فيه من جاء بعده . فهو أول من استوقف على الطلول ووصف النساء بالظباء والمهى والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصي وفرق بين النسيب وما سواه من القصيدة وقرب مآخذ الكلام وقيد أو أبدأه وأجاد الاستعارة والتشبيه . ولقد بلغ منه انه كان يتعنت على كل شاعر بشعره .

ثم تتابع القارضون من بعده فمنهم من أسهب فأجاد ، ومنهم من أكب كما يكبو الجواد . وبعضهم كان كلامه وحي الملاحظ . وفريق كان مثل سهيل في النجوم يعارضها ولا يجرى معها . ولقد جدوا في ذلك حتى أن منهم من كان يظن ان لسانه لو وضع على الشعر لحلقه . أو الصخر لفلقه . ذلك أيام كان للقول غرر في أوجه ومواسم بل أيام كان من قدر الشعراء ان تغلب عليهم ألقابهم بشعرهم حتى لا يعرفون الا بها كالمرقش والمهلهل والشريد والممزق والمتلمس والنابغة وغيرهم ومن قدر الشعراء ان كانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الاعراس . وأيام كانوا لا يهنئون الا بغلام يولد أو شاعر ينبغ او فرس تنتج . وكانت البنات ينفقن بعد الكساد اذا شبب بهن الشعراء .

ولم يترك العرب شيئاً مما وقعت عليه اعينهم أو وقع الى آذانهم او اعتقدوه في أنفسهم الا نظموه في سمط من الشعر وادخروه في سفط من البيان حتى انك لترى مجموع اشعارهم ديواناً فيه من عوائدهم وأخلاقهم وآدابهم وايامهم وما يستحسنون ويستهجنون حتى من دوابهم . وكان القائل منهم يستمد عفو هاجسه وربما لفظ الكلمة تحسبها من الوحي وما هي من الوحي ولم يكن يفاضل بينهم الا اخلاقهم الغالبة على أنفسهم . فزهير أشعرهم اذا رغب ؛ والنابغة اذا رهب ؛ والاعشى اذا طرب ؛ وعنترة اذا كلب ؛ وجرير اذا غضب وهلم جرا .

ولكل زمن شعر وشعراء ولكل شاعر مرآة من أيامه فقد انفرد امرؤ القيس بما علمت واختص زهير بالحوليات واشتهر النابغة بالاعتذارات

وارتفع الكميت بالهاشميات وشمخ الحطيئة باهاجيه وساق جرير قلائصه وبرز عدي في صفات المطيه وطفيل في الخيل والشماخ في الحمير ولقد أنشد الوليد بن عبد الملك شيئاً من شعره فيها فقال ما أوصفه لها اني لاحسب ان أحد أبويه كان حمارا .... وحسبك من ذي الرمة رئيس المشبهين الاسلاميين انه كان يقول « اذا قلت كأن ولم أجد مخلصاً منها فقطع الله لساني » . ولقد فتن الناس ابن المعتز بتشبيهاته ؛ وأسكرهم ابو نواس بخمرياته ؛ ورقت قلوبهم على زهريات أبي العتاهية وجرت دموعهم لمرثى أبي تمام وابتهجت انفسهم ببدائع البحتري وروضيات الصنوبري ولطائف كشاجم .

فمن رجع بصره في ذلك وسلك في الشعر ببصيرة المعري وكانت له اداة ابن الرومي وفيه غزل ابن أبي ربيعة وصبابة ابن الاحنف وطبع ابن برد وله اقتدار مسلم وأجنحة ديك الجن ورقة الجهم وفخر أبي فراس وحنين ابن زيدون وانفة الرضي وخطرات ابن هاني وفي نفسه من فكاهة ابي دلامه ولعينيه بصر ابن خفاجه بمحاسن الطبيعة وبين جنبيه قلب ابي الطيب فقد استحق ان يكون شاعر دهره ؛ وصناجة عصره .

ولا يهولنك ذلك اذا لم تستطع عد الشعراء الذين انتحلوا هذا الاسم ظلماً وألحقوه بانفسهم الحاق الواو بعمرو فكلهم اموات غير احياء وما يشعرون .

وأبرع الشعراء من كان خاطره هدفاً لكل نادرة فربما عرضت للشاعر احوال مما لا يعني غيره فاذا علق بها فكره تمخضت عن بدائع من الشعر فجاءت بها كالمعجزات وهي ليست من الاعجاز في شئ ولا فضل للشاعر فيها الا انه تنبه لها . ومن شديده على هذا جاء بالنادر

من حيث لا يتيسر لغيره ولا يقدر هو عليه في كل حين .

وليس بشاعر من اذا انشدك لم تحسب ان سمعه مخبوء في فؤادك وأن عينك تنظر في شغافه ؟ فاذا تغزل اضحكك ان شاء وابكاك ان شاء . واذا تحمس فزعت لمساقط راسك . واذا وصف لك شيئاً هممت بلمسه حتى اذا جئته لم تجده شيئاً . واذا عتب عليك جعل الذنب لك الزم من ظلك . واذا نثل كنانته رأيت من يرميه صريعاً لا اثر فيه لقذيفة ولا مدية ولكنها كلمة فتحت عليها عينه او ولجت الى قلبه من اذنه فاستقرت في نفسه وكأنما استقر على جمر .

واذا مدح حسبت الدنيا تجاوبه واذا رثى خفت على شعره ان يجري دموعاً واذا وعظ استوقفت الناس كلمته وزادتهم خشوعاً ؟ واذا فخر اشتم من لحيته رائحة الملك فحسبت انما حفت به الاملاك والمواكب .

وجماع القول في براعة الشاعر ان يكون كلامه من قلبه فان الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب واذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان .

ولقد رأينا في الناس من تكلف الشعر على غير طبع فيه فكان كالاعمى يتناول الاشياء ليقرها في مواضعها وربما وضع الشيء الواحد في موضعين او مواضع وهو لا يدري .

وابصرنا فيهم كذلك من يجيء باللفظ المونق والوشي النضر فاذا نثرت اوراقه لم تجد فيها الا ثمرات فجه .

ورأينا في المطبوعين من اثقل شعره بانواع من المعاني فكان كالحسناء تزيدت من الزينة حتى سمجت فصرفت عنها العيون بما ارادت ان تلفتها

به على ان احسن الشعر ما كانت زينته منه وكل ثوب لبسته الغانية فهو معرضها .

وهو عندي اربعة أبيات بيت يستحسن وبيت يسير وبيت يندر وبيت يجن به جنوناً وما عدا ذلك فكالشجرة التي نفض ثمرها . وجني زهرها لا يرغب فيها الا محتطب .

اما مذاهبه التي ابانوها من الغزل والنسيب والمدح والهجاء . والوصف والرثاء وغيرها فهي شعوب منه وما انتهى المرء من مذهب فيه الا الى مذهب ولا خرج من طريق الا الى طريق ألم تر انهم في كل واد يهيمون ؟ وما دامت الاعمار تتقلب بالناس فالشعر اطوار . آونة تخطر فيه نسمات الصبا ما بين افنان الوصف الى ازهار الغزل . ويتسبسب فيه ماء الشباب من نهر الحياة الى مشرعة الامل . وطوراً تراه جم النشاط تكاد تصقل بمائه السيوف . وتفرق بحده الصفوف . وحيناً تجده وقد البسه المشيب ثوب الاعتبار . وجلله بمسحة من الوقار وهو في كل ذلك يروي عن الايام وتروى عنه وما اكثر فنون الشعر اذا رويتها عن افانين الايام

واما ميزانه فاعمد الى ما تريد نقده فرده الى النثر فان استطعت حذف شيء منه لا ينقص من معناه او كان في نثره اكمل منه منظوما فذلك الهذر بعينه او نوع منه . ولن يكون الشعر شعراً حتى تجد الكلمة من مطلعها لمقطعها مفرغة في قالب واحد من الاجادة وتلك مقلدات الشعراء

اليك مثلا قول ابن الرومي يصف منهزما .

لا يعرف القرن وجهه ويرى   قفاه من فرسخ فيعرفه

فقلب نظرك بين الفاظه واجله في نفسك ثم ارجع الى قول ذلك

الخارجي وقد قال له المنصور اخبرني أي أصحابي كان أشد اقداماً في مبارزتك فقال ما اعرف وجوههم ولكن اعرف اقفاءهم فقل لهم يدبروا اعرفك. الست ترى في ذلك النظم من كمال المعنى وحلاوة الالفاظ مالا تراه في هذا النثر.

ولقد بقي ان قوماً لم يهتدوا الى الفرق بين منثور القول ومنظومه والذي أراه ان النظم لو مد جناحيه وحلق في جو هذه اللغة ثم ضمهما لما وقع الا في عش النثر وعلى اعواده. ولن تجد لمنثور القول بهجة الا اذا صدح فيه هذا الطائر الفرد. بل لو كان النثر ملكاً لكان الشعر تاجه. ولو استضاء لما كان غيره سراجه.

وما زال الشعراء يأتون بجمل منه كأنها قطع الروض اذا تورد بها خد الربيع. وهذا ابن العباس وكتبه. وابن المعتز وفصوله والمعرى ورسائله. وانظر الى قول بشار وقد مدح المهدي فلم يعطه شيئاً فقيل له لم تجد في مدحه فقال « والله لقد مدحته بشعر لو قلت مثله في الدهر لما احتف صرفه على حر ولكني اكذب في العمل فاكذب في الامل »

وبشار هو ذلك الغواص على المعاني الذي يزعم ابن الرومي انه اشعر من تقدم وتأخر وهو القائل في شعره مفتخراً

اذا ما غضبنا غضبة مضرية ... هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
اذا ما اعرنا سيداً من قبيلة ... ذرى منبر صلى علينا وسلما

والامثلة على ذلك اكثر من ان تعد. واوسع من ان تحد.

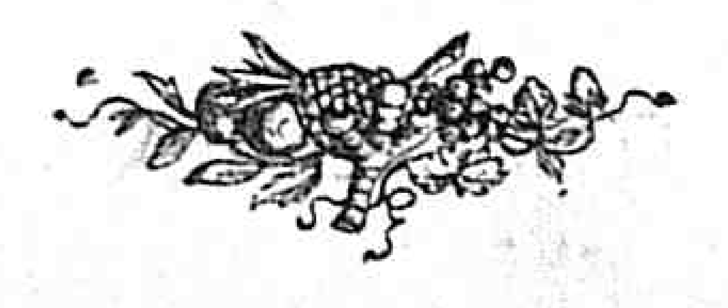
ولا تجد الناظم وقد اصبح لا يحسن هذا الطراز الا اذا كان جافي الطبع كدر الحس غير ذكي الفؤاد لم تجتمع له آلة الشعر وهو اذا كان هناك

وجاء من صنعته بشيء فانما هو نظام وليس بشاعر.

اما الفرق بين المترسلين والشعراء فان كان كما يقول الصابي «ان الشعراء انما اغراضهم التي يرتمون اليها وصف الديار والآثار. والحنين الى الاهواء والاوطار. والتشبيب بالنساء. والطلب والاجتداء. والمديح والهجاء واما المترسلون فانما يترسلون في أمر سداد ثغر واصلاح فساد. أو تحريض على جهاد. أو احتجاج على فئة أو مجادلة لمسألة أو دعاء الى ألفة او نهي عن فرقة او تهنئة بعطية او تعزية برزية او ماشاكل ذلك» فذلك زمن قد درج فيه أهله وبساط طوي بما عليه ولم يعد أحد يحذر مؤاخاة الشاعر لانه يمدحه بثمن ويهجوه مجاناً. وانما الفرق بين الفريقين ان مسلك الشاعر أوعر ومركبه أصعب وأسلوبه أدق وكلامه مع ذلك أوقع في النفس وعلى قدر اجادته يكون تأثيره فالمجيد من الشعراء أفضل من غيره في صناعة الكلام وانك انما تزين النثر بالشعر ولا تزين الشعر بالنثر.

وفي الحديث الشريف « انا قد سمعنا كلام الخطباء والبلغاء وكلام ابن أبي سلمى فما سمعنا مثل كلامه من أحد ». وقال الشافعي في كتاب الام الشعر كلام كالكلام فحسنه كحسنه وقبيحه كقبيحه وفضله على سائر الكلام انه سائر في الناس يبقى على الزمان فينظر فيه.

هذا وان من الشعر حكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولوا الالباب.



مقدمة الشارح

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان فله الحمد سبحانه وتعالى حمداً يوافي نعمه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد وعلى آله وأصحابه (أما بعد) فقد دعاني حضرة أخي ناظم هذا الديوان الى شرحه فكنت الى اجابته أسرع من السيل اذا انحدر عالماً اني انما أنسق ازهاراً وأجمع رياحين . لاحاجة بي الى ذكر شيء من أمر الشعر والشعراء فلم يبق في ذلك مجال لقائل وانما أذكر هنا كلاماً قاله الجاحظ يكون عنواناً لما ستراه في هذه الاوراق قال

« افضل الكلام ماكان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه ظاهراً في لفظه وكأن الله قد البسه من ثياب الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله فاذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه منزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة ومتى فصلت الكلمة على

هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة كساها الله من التوفيق ومنحها من التأييد مالا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهله »

وقد قصدت فيما كتبته من هذا الشرح الى مطلق الفائدة حريصاً على الايجاز وربما ذكرت النادرة لبعض الشبه بينها وبين ما يجيء في النظم ضناً بفائدة المناسبة ان تضيع . وبهذا يكون الكتاب من نظمه ونثره حاجة الاديب وملهاة السائر وأنيس المسافر

وكنت أود لو أمكنني ان أتوسع في القول فأذكر شيئاً مما يمتاز به هذا الديوان ولكن حسبنا ان يحكم القراء بذلك . غير اني لا أجد بداً من أن أذكر لهم ان هذا الشعر الذي يقرأونه في هذا الجزء من نظم صاحبه في سنتي (١٣١٩ و١٣٢٠) على غير تفرغ له وهو الباكورة الشهية ان شاء الله .

والآن أحبس عنان القلم لئلا يحسب الكلام تزكية والبيان اطراء وخير الكلام ما قل ودل

«محمد كامل الرافعي»



الباب الأول

(في التهذيب)

هذه قطع نظمها للنشء العصري من تلامذة المدارس تهذيباً لانفسهم وتحلية لعقولهم [١]

قال يصف عمر بن الخطاب [٢]

لا زينة المرء تعليه ولا المال	ولا يشرفه عم ولا خال
وانما يتسامى للعلا رجل	ماضي العزيمة لا تثنيه اهوال [٣]
يريك من نفسه فيما يهم به	أن النفوس ظبي والناس أبطال [٤]
لا ينثني ان عداه سوء حالته	وكل حال توافي بعدها حال

(٢) تفرض نظارة المعارف على أساتذة اللغة العربية في مدارسها أن ينتخبوا للتلامذة قطعاً من الشعر المفيد يستظهرونها فيحار أصحابنا اذ لا يجدون فيما بين ايديهم من كتب الادب والشعر ما فيه غنى ولكنهم يرضون من الغنيمة بقراضات من الحكم وشذرات من الامثال لا تصيب الغرض الذي ترمي اليه النظارة . اما وقد ظهر هذا الديوان فقد بطل التيمم عند الماء

(٢) هو رجل الاسلام ولي الخلافة يوم الثلاثاء لثمان يقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة من التاريخ وقتل في ذي الحجه سنة ثلاث وعشرين وهو ابن ثلاث وستين سنه

(٣) من المجاز ثنيت الرجل على وجهه اذا رجعته الى حيث جاء . وما تثنى أهول الحياة من جعل عزيمته فوقها جسراً وعبر

(٣) الظبي جمع ظبة وهي حد السيف والسنان ونحوهما والمراد هنا بها السيوف مجازاً

الم يكن عمر يرعى المخاض فهل	ترى العلا بطن واد فيه آبال [١]
وهل سوى نفسه قد سودته وهل	تنال الا بشق النفس آمال [٢]
رأى الهدى فجلاه للورى قمراً	ملء العيون وكل الناس ضلال
وجد في نصرة الهادي ودعوته	ولا يخيب امرء في الحق فعال
واطلق النفس مما تبتغيه هوى	وانما شهوات النفس اغلال
ولم يكن احد يلهيه عن احد	كأنه والد والناس اطفال
بذا تفزعت الدنيا لهيبته	حتى تداعت عروش الصيد تنهال [٣]
وارهبت اسد الآفاق زأرته	وملء آفاقها أسد وأشبال [٤]
فثبت الارض يلقي في جوانبها	كتائباً هن فوق الارض أجبال [٥]
ومد آماله في كل ناحية	ولا سرير ولا تاج ولا مال
والمرء ان كان انساناً بزينته	فانما هو بين الناس تمثال [٦]

(١) المخاض الحوامل من النوق و آبال جمع ابل . قيل ان عمراً حج فلما كان بضجنان قال لا اله الا الله العلي العظيم المعطي من شاء ما شاء كنت بهذا الوادي في مدرعة صوف أرعى أبل الخطاب وكان فظاً يتعبني اذا علمت ويضربني اذا قصرت وقد امسيت الليلة ليس بيني وبين الله احد (٢) سودته نفسه جعلته سيداً قال عامر بن الطفيل

فما سودتني عامر عن وراثة أبي الله ان اسمو بام ولا اب

(٣) الصيد جمع أصيد وهو مائل العنق كبراً والمراد بهم الملوك وتداعت تنهال اقبلت تسقط

(٤) زأرة الاسد صيحته والضمير في آفاقها راجع الى الارض ولم تذكر لان الاضافة في الجملة تدل عليها فكانها مذكورة ومثله قوله تعالى فامشوا في مناكبها والاشبال اولاد الاسد . (٥) الكتائب جمع كتيبه وهي القطعة من الجيش والاجبال جمع جبل شبه الجيوش بالجبال وذكر انه القاها في الارض تثبيتاً لها ان تميد بعد ما تفزعت وانما خلقت الجبال لذلك (٦) عاتب يحيي بن خالد يوماً العتابي على لباسه وكان لا يبالي اي ثوبيه ابتذل فقال ابعد الله رجلا يرى ان يكون جماله في لباسه وعطره انما ذلك حظ النساء واهل الاهواء حتى يرفعه اكبراه همته ولبه ويعلو به معظماه لسانه وقلبه .

وفي الانام رجال كالنجوم إذا … أتى الفتى ما أتوه نال ما نالوا

مجد المأمون [١]

المجد ما بين موروث ومكتسب … والقطر في الارض لا كالقطر في السحب [٢]

وما الفتى من رأى آباءه نجباً … ولم يكن هو إن عدوه في النجب

وان أولى الورى بالمجد كل فتى … من نفسه ومن الامجاد في نسب [٣]

فالشهب كثر اذا أبصرتهن ولا … يعدد الناس غير السبعة الشهب [٤]

وما رقى الملك المأمون يوم سما … للمجد في درجات العز والحسب

ولا استجابت له الاملاك يوم دعا … بفضل أم غذته الفضل أو بأب [٥]

لكن رأى المجد مطلوباً فهب له … ومن يكن عارفاً بالقصد لم يخب [٦]

وعزز العلم فاعتز الانام به … وما الى العز غير العلم من سبب

---

(١) هو ابو العباس عبد الله المأمون بن هرون ولد سنة ١٧٠ وتوفي سنة ٢١٨ وكانت مبايعته لخمس خلون من صفر سنة ١٩٨ وكان نجم بني العباس في العلم والحكمة وقد اختار شاعرنا من اشهر رجال الاسلام رجلين اتفقا غاية واختلفا مبدأ فعمر رضي الله عنه نشأ في القفر والفقر ونشأ المأمون في الحضارة والعز وكلاهما بلغ بنفسه الغاية التي لا وراءها ·

(٢) ليس في المجد الا موروث عن الآباء والاجداد أو مكتسب بالنفس وقد شبه الاول بالمطر ينزل على الارض عفواً فترى اكثره قد انقلب وحلا والثاني بالمياه تبخرها حرارة الشمس فترتفع ذرات في الجو ثم تتكاثف سحباً وهي انقى ما تكون ·

(٣) فلان في نسب من نفسه اي انه يقول ها انا ذا لا يقول كان أبي

(٤) هي زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ·

(٥) الاملاك جمع ملك وقد كان المأمون كاتب الملوك في ان يتحفوه بما عندهم من نفائس كتب الاولين وقيل انه جعل من شروط صلحه مع بعضهم ان يبعث اليه بما عنده منها وهو الذي استخرج كتاب اقليدس وأمر بترجمته وتفصيله (٦) القصد استقامة الطريق ومن عرف كيف [illegible] الى حاجته بلغها ·

ودولة السيف لا تقوى دعامتها … مالم تكن خالفتها دولة الكتب [١]

ومن يجدّ يجد والنفس ان تعبت … فربما راحة جاءت من التعب [٢]

ويل لمن عاش في لهو وفي لعب … فميتة المجد بين اللهو واللعب

(ألم تر الشمس في الميزان هابطة … لما غدا برج نجم اللهو والطرب) [٣]

الكمال في التربية

لكل فتى من الدنيا كمال … فما نقص الورى الا الفعال

ومن لم يرشدوه في صباه … تحكم في شبيبته الضلال

فما قلب الصغير سوى كتاب … تسطر في صحائفه الخلال [٤]

ونفس المرء في جنبيه نصل … ولسن بغير حاملها النصال

فكم رجل ترى فيه صبياً … وكم من صبية وهم رجال

وان هي لم تكن صقلت طواها … على صدإ فما يجدي الصقال [٥]

ومن لم يغذه أبواه طفلا … هوى العلياء أسقمه الهزال

---

(١) الدعامة بالكسر عماد البيت والخلاف في تفضيل دولة القلم على دولة السيف مشهور وممن فضل الاول ابن الرومي وممن فضل الثاني المتنبي

(٢) ما اذا دخلت على رب كفتها عن العمل وقد تعمل قليلا وفي رب ثماني عشرة لغة ليس هذا موضع بسطها ·

(٣) هذا البيت لابي الفتح البستي وهو هنا تضمين

(٤) الخلال جمع خلة بالفتح وهي الخصلة من خصال الانسان

(٥) ان السيف لا يكون عضباً حتى يصقل والنفس لا تنفع صاحبها حتى تجلو صفحتها العلوم والتجارب فان لم تكن صقلت بذلك طواها صاحبها بين جنبيه على صدأ الجهل وشب بعد ذلك فلا ينفعه التعلم وقد شاب

الاعتماد على النفس

المرء يمنى بالرجا والياس ... ويضيع بينهما ضعيف الباس [١]

فاذا عزمت فلا تكن مترددا ... فسد الهوا بتردد الانفاس

واذا استعنت فبالتجارب انها ... للنفس كالاضراس للاضراس

وعلام ترجو الناس في الامر الذي ... يعنيك أنت وأنت بعض الناس [٢]

النفس قوس والعزيمة سهمها ... فارم الرجا من هذه الاقواس

وأضئ حياتك بالمعارف انما ... هي في ظلام العمر كالنبراس

واجعل أساس النفس حب الله اذ ... لاخير في بيت بغير أساس [٣]

زمن الدراسة

زمن كالربيع حل وزالا ... ليت أيامه خلقن طوالا

يحسب الطفل انه زمن الهم ... وما الهم يعرف الا طفالا

يابني الدرس من تمنى الليالي ... كلياليكم تمنى المحالا

(١) مني بكذا مبني للمفعول ابتلي به والمرء في هذه الحياة مبتلي برجاء تنزع اليه نفسه ويأس مما يرجوه وبينهما موقف للاماني يقفه كل ضعيف البأس واهي العزيمة والاماني كما قيل رأس مال المفاس (٢) لكل انسان منافع لاتعني غيره ومنافع لا ينالها الا بغيره والناس كلهم مشتركون في هذه فمن سعى لحاجة فقد نالها بنفسه في الحقيقة اذ لولا سعيه لما جاءته ومن امثال الانكليز ان الارانب لا تسعي الى افواه الكلاب النائمة. أما منافعه التي لاتعني سواه فهو حين يرجو الناس في امرها كالميت لايكفن ولايحمل حتى يكفنه ويحمل سواه (٣) قال حكيم لابنه وهو يعظه يابني قد خلقك الله فسواك فعدلك وان نعمه عليك وعلى الناس لفوق الحصر فان احببتني فلانه اوجدني واوجدك مني وان احببت نفسك فلانعمه التي أسبغها عليك فاحبب الله تقم بحقه وحقي وحق نفسك .

(٤) ان كلام الشاعر في هذه القطعة من السحر فقد نفذ ببيانه الى نفس الطفل وجنانه . فجعل يرجم كل شيطان من الوهم بشهاب من العلم حتى اذا اخلى عقله من خياله وخباله ملأه بحكمة لاينساها الا اذا نسي صباه وان لم يكن هذا هو البيان فما هو اذن؟

ليلة بعد ليلة بعد أخرى ... وليالي الهنا تمر عجالا

قد خبرنا الانام في كل حال ... فاذا الطفل أحسن الناس حالا

وهو ان جد لم يزل في صعود ... وكذا البدر كان قبل هلالا

غير ان الكسول في كل يوم ... يجد اليوم كله أهوالا

ويرى الكتب والدفاتر والاقلا ... م وأوراق درسه أحمالا [١]

واذا ما مشى الى قاعة الدر ... س ذراعاً يظنه أميالا [٢]

من يقم في الامور بالجد يهنا ... والشقا للذين قاموا كسالى [٣]

وزمان الدروس أضيق من ان ... يجد الخاملون فيه مجالا

أيها الطفل لاتضيع زماناً ... لست تلقى كمثله أمثالا

ربما نلت مايفوت وهيها ... ت اذا فاتك الصبا ان تنالا

بعد المدرسة

ما لأيام ذا الصبا تتفانى ... وقديماً عهدتها تتوانى [٤]

ذهبت بالصبا سلام عليها ... من فؤاد بحبها ملآنا

(١) ينعكس في عين الكسول كل شيء من أمر العلم وعلامته أن لا يظهر عليه سروره . قال بعض الحكماء لتلميذه وقد ضرب الموسيقي أفهمت قال نعم قال بل لم تفهم لاني لاارى عليك سرور الفهم

(٢) مشى ذراعا اي قدر ذراع وهو من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى وهذا شيء رأيناه باعيننا فهل يحسن الكسول بعد ذلك ام يكون كميت الوغى لايؤلمه وخز الاسنه .

(٣) اقتباس من قوله تعالى « واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى »

(٤) سمى ايام الدراسة ايام الصبا لان مابعدها كله من هم المشيب . ويعجبني ان أديباً سأل بعض ظرفاء الفرنسويين عن الشهر الذي يقضيه العروسان معا في الخلاء بعد زواجهما لماذا يسمونه شهر العسل فقال لان مابعده مركله

كل ذي حالة سيمنى باخرى   ويلاقي بعد الزمان زمانا

والفتى من اذا تغير حال   لم يقف في وجوهه حيرانا [1]

هذه ساعة الحصاد فمن كا   ن تعنى أراحه ماعانى [2]

والذي يزرع التهاون في الاشياء   لا يجتنيه الا هوانا

ليس يجدي الانسان ان يأمل النا   س فلاناً من قومه وفلانا

فاسع في الارض ان عقبان هذا الجو   لا يرتضين منه مكانا [3]

واحذر الناس انما يأمن النا   س صبي يظنهم صبيانا

واركب الجد في الامور ولا تجبن   اذا فات بعضها أحيانا [4]

ان هذا الوجود كالحرب لا يكرم   في الحرب من يكون جبانا

الشرف بالمعارف

ان المعارف للمعالي سلم   وأولو المعارف يجهدون لينعموا

والعلم زينة أهله بين الورى   سيان فيه أخو الغنى والمعدم [5]

(١) يريد بهذا ان الفتى من كان عارفاً بطرق منافعه في كل امر فان تغيرت حال غير طريقه وكما قيل

البس لكل حالة لبوسها   اما نعيمها واما بوسها

(٢) تعنى وعاني بمعنى كد وتعب

(٣) العقبان جمع عقاب ومن عجيب امرها وفيه موعظة انها اذا صادت الارانب تبدأ بصيد الصغار ثم تصيد الكبار بعد ذلك وقيل لبشار بن برد لو خيرك الله ان تكون حيواناً ماذا كنت تختار قال العقاب لانها تابث حيث لا يبلغها سبع ولا ذو اربع وتحيد عنها سباع الطير (ولا تعانى الصيد الا قليلا بل تسلب كل ذي صيد صيده) ولعل هذا من سخط بشار على الناس .

(٤) ذكر بعض الزهاد انه مازال يرقب احدى حاجاته اربعين سنه يسأل الله ان ييسرها له ولم ييأس حتى نالها

«٥» أعدم الرجل افتقر فهو معدم

فالشمس تطلع في نهار مشرق   والبدر لا يخفيه ليل مظلم [1]

لا فخر في نسب لمن لم يفتخر   بالعلم لولا الناب ذل الضيغم [2]

وأخو العلا يسعى فيدرك ما ابتغى   وسواه من أيامه يتظلم

والخاملون اذا غدوت تلومهم   حسبوك في أسماعهم تترنم [3]

في الناس أحياء كأموات الوغى   وخز الاسنة فيهم لا يؤلم

فاصدم جهالتهم بعلمك انما   صدم الجهالة بالمعارف أحزم

واخدم بلاداً أنت من أبنائها   ان البلاد بأهلها تتقدم

واملأ فؤادك رحمة لذوي الاسى   لا يرحم الرحمن من لا يرحم [4]

الاجتهاد

لقد كذب الآمال من كان كسلانا   وأجدر بالاحلام من بات وسنانا [5]

ومن لم يعان الجد في كل أمره   رأى كل أمر في العواقب خذلانا

«١» الغني والفقير سيان في الانسانية الا ان هذا من فقره في وجود مظلم وذلك من يساره في وجود مشرق، والعلم على اي الحالين نور لصاحبه فهو فيهما كالنور في الشمس والقمر لا ينقص من قدر هذا ليله المظلم ولا يزيد في قدر تلك نهارها المشرق وانما التفاوت بينهما على حسب مقدار الضوء في كليهما

«٢» الضيغم من اسماء الاسد وقد جمع له جلال الدين السيوطي رحمه الله ستمائة وسبعين اسماً في رسالة سماها فطام اللسد في اسامي الاسد .

«٣» اذا كان الاحول يرى الشيء شيئين فلا عجب اذا سمع الخامل صيحة الزجر غناء ...

«٤» قال ميمون بن هارون كان محمد بن عبد الملك يقول الرحمة خور في الطبيعة وضعف فى المنة مارحمت شيئاً قط فلما وضع في الثقل والحديد قال ارحموني فقالوا له وهل رحمت شيئاً قط هذه شهادتك على نفسك وحكمك عليها

«٥» الامل كالحلم يلذ المرء لحظة وينقضي فاذا جد حققه واذا كسل خيبه ومن نام فهو اجدر باضغاث الاحلام.

وما المرء الا جـده واجتهاده　　وليس سوى هذين للمرء أعوانا

كأن الورى يجرون طراً لغاية　　وقد دحيت هذي البسيطة ميدانا [١]

فمن كان مقداماً فقـد فاز جـده　　وباء بكل الويل من ظل حيرانا [٢]

فلا تتقاعـد إن تلح لك فرصة　　ولا تزدر الشيء الحقير وان هانا [٣]

ولا تعـد أخلاق الكرام فانما　　بأخلاقه الانسان قد صار إنسانا

العلم والعمل

آفة العالم ان لا يعملا　　وشقا الجاهل ان لا يسألا

إنما العلم كمثل المال لا　　تنفع الاموال حتى تبذلا [٤]

ولكل الناس فقر شامـل　　والغني فقره ان يبخـلا [٥]

وأخو العلم كرب المال لا　　يستزيد المال حتى يعملا [٦]

والكسول يتعنى آخراً　　بالذي قـد علموه أولا [٧]

واذا كان من العلم شقاً　　فنعيم المرء في أن يجهلا

«١» دحا الله الارض بسطها

«٢» الجد بالفتح الحظ

«٣» لابن عباس ان الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما . وقال علي رضي الله عنه الهيبة مقرونة بالخيبة والحياء مقرون بالحرمان والفرص تمر مر السحاب .

«٤» يقال من كتم علماً فكأنه جاهله

«٥» لكل امرئ فقر حاصل أو متوقع فالغني ان جاد كان فقره متوقعاً لانه لا يأمنه وان بخل فالذي فعل هو الفقر ومما يجمل ذكره ان الاحنف بن قيس المشهور باصالة الرأي كان بخيلا فقال مرة لبني تميم أتزعمون اني بخيل والله لأشير بالرأي قيمته عشرة آلاف درهم فقالوا تقويمك لرأيك بخل

(٦) في الحديث الشريف من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم . (٧) قال بعض الحكماء لمريديه اذا بقي البليد في العلم بليداً في العمل بما علم كان في نفسه الجهل بما تعلمه كمن ينفض التراب من نعله على رأسه

حامل العلم ولم يعمل به　　كالحمار حامـل ما حمـلا

وإذا لم يك الا علمـه　　كانت الاوراق منه أفضلا

خاب من قال ولم يفعل فما　　يفلح القائل حتى يفعلا [١]

الوطن

بلادي هواها في لساني وفي دمي　　يمجدها قلبي ويدعو لها فمي

ولا خير فيمن لا يحب بلاده　　ولا في حليف الحب ان لم يتيم [٢]

ومن تؤوه دار فيجحد فضلها　　يكن حيواناً فوقه كل أعجم [٣]

ألم تر ان الطير ان جاء عشه　　فآواه في اكنافه يترنم

وليس من الاوطان من لم يكن لها　　فداء وان أمسى اليهن ينتمي

على انها للناس كالشمس لم تزل　　تضيء لهم طراً وكم فيهم عمي

ومن يظلم الاوطان أو ينس حقها　　تجئه فنون الحادثات بأظلم

ولا خير فيمن ان أحب دياره　　اقام ليبكي فوق ربع مهدم

وقد طويت تلك الليالي باهلها　　فمن جهل الايام فليتعلم [٤]

وما يرفع الاوطان الا رجالها　　وهل يترقى الناس الا بسلم

(ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله　　على قومه يستغن عنه ويذمم) [٥]

(١) قال بعض النساك أسكتتني كلمة ابن مسعود عشرين سنة وهي من كان كلامه لا يوافق فعله فانما يوبخ نفسه .

(٢) تيمه الحب عبده (٣) الانسان حيوان ناطق وغيره من الحيوانات أعجم

(٤) تلك هي الليالي التي كانت آية حب الوطن فيها ان يبكي عليه أهله بعد خرابه ....

(٥) هذا البيت من معلقة زهير بن أبي سلمى المشهورة ومكانه هنا أحق به من مكانه هناك

ومن يتقلب في النعيم شقى به … اذا كان من آخاه غير منعم [1]

وقال

ليتلوها طفل صغير في الاحتفال بامتحان تلامذة احدى مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية

لكم سادتي اجل احترامي … وعليكم تحيتي وسلامي
واليكم اسوق عنى حديثاً … حكماً جل قدرها في الكلام
كنت في حجر والديّ رضيعاً … همتي في البكاء أو في المنام
ثم أصبحت بعد ذلك طفلا … لا اقاسي سوى عذاب الفطام
ثم لما شببت انطقني اللـــه مفيض الجميل والانعام
واهب السمع والبصائر والابصـار معطي العقول الافهام
ثم ميزت كل شيء أراه … وعرفت الضيا ولون الظلام
ورأى الله أن يقدر لي الخيـرو حظي باوفر الاقسام
فأتي بي الى المدارس أهلي … وجعلت العلوم فيها مرامي

(١) من أسوأ الاخلاق شح النفس يرى المرء جيرته واخوانه في الوطنية يتضورون جوعاً وهو ممتلئ البطن ويفترشون الحصى وهو يتقلب في الخز وقد كان العرب يتهاجون بذلك أما اليوم فهذا الشح من حسنات التمدن الذي ألف أهله سماع لفظة الموت من الجوع فاذا قلت لاحدهم ان مائة نفس ماتوا جوعاً فكانما قلت له عم صباحاً (بنجور) .... وفي هذا الجو نشأ الفوضويون .

(تنبيه) قد تمت القطع التي نظمت للنشئ من تلامذة المدارس وقال ناظمها انه اذا وجد الناس أقبلوا عليها أقبل هو على نظم غيرها مما هو أرقى غير مبال بوعورة هذا المسلك الذي لم يسلكه قبله احد فها نحن اولاء ننتظر من الصحافيين وشبان العصر ان يأخذوا بيده في هذا المشروع حتى لا يغيض ما بقي في ذلك الينبوع وما هو عليهم اذا شاءوا بعزيز

دفتري صاحبي ولوحي رفيقي … وكتابي في كل فن امامي
فتعلمت ماتعلمت مما … أتباهى بعلمه في الانام [1]
راجياً ان اكون بالعلم يوماً … في بلادي من الرجال العظام
فاشيد المدارس الشم فيها … لبني البائسين والايتام
وأربي على محبتها القو … م لترقي بهم على الاقوام
سادتي انشروا العلوم لتشفي … ما يجسم البلاد من اسقام
انها روحها وما بسوى الرو … ح تكون الحياة في الاجسام

وقال ليتلوها طفل اصغر من ذاك

نحن في هذه المدارس نسعى … لنبر الوالدات والوالدينا
وترانا اوطاننا خير قوم … ففلاح الاوطان في ايدينا
عن قريب نكون فيها رجالا … ونربي بناتنا والبنينا
فادرأوا الجهل بالمعارف عنا … واتقوا الله ايها الناس فينا
رب هذي يد الضراعة والذل … فوق عبادك المحسنينا
يا إلهي دعاك طفل صغير … فتقبل يا اكرم الا كرمينا [2]

(١) دخل الرشيد على المأمون وهو ينظر في كتاب فقال ما هذا فقال كتاب يشحذ الفكرة ويحسن العشرة فقال الحمد لله الذي رزقني من يرى بعين قلبه اكثر مما يرى بعين جسمه . ولو ان كل أطفالنا يأخذون بقول شاعرنا لما بقينا حيث نحن الآن وراء كل متقدم والامر لله

(٢) اللهم تقبل ووفق عبادك المحسنين . حدثت ان شاعرنا كان حاضراً ذلك الاحتفال فلم يتمالك ان بكى حينما سمع هذه الالفاظ الكبيرة يصيح بها ذلك الطفل فتخرج من فمه الصغير ورآه يبسط يده خاشع الطرف رافعا رأسه الى السماء يسأل الله ان يوفق عباده المحسنين . على حين ان هؤلاء (المحسنين) الحاضرين كانوا كالحجارة او أشد قسوة فلا ندري الى متى هذا الجمود

وقال

يتفجع لمجد الشرق القديم ويضرب الامثال للشرقيين لعلهم يتذكرون

تمايل دهرك حتى اضطرب … وقد يثني العطف لا من طرب
ومر زمان وجاء زمان … وبين الزمانين كل العجب
فقوم تدلوا لتحت الثرى … وقوم تعالوا لفوق الشهب
لقد وعظتنا خطوب الزمان … وبعض الخطوب كبعض الخطب
ولو عرف الناس لم تهدهم … سبيل المنافع الا النوب
فيارب داء يكون دواءاً … اذا عجز الطب والمستطب
ومن نكد الدهر ان الذي … ازاح الكروب غدا في كرب
وان امرءاً كان في السالبين … فاصبح بينهم يستلب
ألست ترى العرب الماجدين … وكيف تهدم مجد العرب
فأين الذي رفعته الرماح … وأين الذي شيدته القضب
وأين شواهق عز لنا … تكاد تمس ذراها السحب (١)
لقد أشرق العلم من شرقنا … وما زال يضؤل حتى (غرب) (٢)
وكنا صعدنا مراقي المعالي … فأصبح صاعدنا في صبب (٣)
وكم كان منا ذووا همة … سمت بهم لمعالي الرتب
وكم من هزبر تهز البرايا … بوادره إن ونى أو وثب (٤)
وأقسم لولا اغترار العقول … لما كف أربابها عن أرب

(١) بلغ العرب في ثمانين سنة مالم يبلغه الرومان في ثمانية قرون ودولتهم اذ ذاك اقوى دول الارض

(٢) ما زال يدق ويخفى (٢) الصبب الانحدار (٤) الهزبر من اسماء الاسد

ولولا الذي دب مابينهم … لما استصعبوا في العلا ما صعب
ومن يطعم النفس ما تشتهي … كمن يطعم النار جزل الحطب
ألا رحم الله دهراً مضى … وما كاد يبسم حتى انتحب
وحيي ليالي كنا بها … رعاة على من نأى واقترب
فملكاً نقيل إذا ماكبا … وعرشاً نقيم اذا ما انقلب (١)
سلوا ذلك الشرق ماذا دهاه … فأرسله في طريق العطب
لو ان بنيه أجلوا بنيه … لاصبح خائبهم لم يخب
فقد كان منهم مقر العلوم … كما كان فيهم مقر الادب (٢)
وهل تنبت الزهر أغصانه … إذا ماء كل غدير نضب
وكم مرشد بات مابينهم … يسام الهوان وسوء النصب
كأن لم يكن صدره منبعاً … لما كان من صدره ينسكب
ومن يستبق للعلا غاية … فأولى به من سواه التعب
وليس بضائر ذي مطلب … اذا كفه الناس عما طلب
فكم من مصابيح كانت تضيء … بين الرياح إذا لم تهب
وما عيب من صدف لؤلؤ … ولاعاب قدر التراب الذهب

(١) يقال أن ملوك الاندلس كان من مبلغ سطوتهم انهم كانوا يقيمون ملوك الافرنج اذا انقلبوا عن عروشهم وكانت وفود الملوك تجيء من المانيا واليونان الى الامير عبد الرحمن الثالث امير الاندلس المشهور تزلفاً واسترضاءً وتاريخ الخلفاء الاسلاميين مفعم باكثر من هذا . ولا اظن ان ذا احساس يرمي بنظره الى تلك الذروة التي ارتقى اليها مجد الاسلام ثم يمر على الايام الاخرى منحدراً حتى يصل الى الحضيض الذي نحن فيه اليوم ولا تتصعد زفراته حتى تبلغ مقر نظره وتنزل عبراته حتى تقف حيث هو والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم

(٢) بحسبك ان فلسفة ارسطو استاذ الفلاسفة لم تقم الى الافرنج الا من صحائف العرب

بني الشرق أين الذي بيننا ... وبين رجال العلا من نسب

لقد غابت الشمس عن أرضكم ... الى حيث لو شئتم لم تغب

الى الغرب حيث أولاء الرجال ... وتيك العلوم وتلك الكتب [١]

فان كان هذا بحكم الزمان ... فتبت يداً ذا الزمان وتب

وان كان مما أردتم فما ... تنال العلا من وراء الحجب

فدوروا مع الناس كيف استداروا ... فان لحكم الزمان الغلب

ومن عاند الدهر فيما يحب ... رأى من أذى الدهر ما لا يحب

وهذه شذرات من الحكمة الحقناها بهذا الباب

قال

رويداً انما الايام سفر ... اذا وفد تولى جاء وفد [٢]

كأنا في الجحيم فمن تفرى ... له جلد تبدل منه جلد [٣]

أرى قوماً أعدوا ما استطاعوا ... لدهرهم وقوماً ما أعدوا

فلا يغررك من أحد وداد ... فليس لواحد في الناس ود

رموا شبكاتهم في كل ماء ... فلو راموا السماء اذاً لجدوا

وقال

حمل فؤادك ما يطيق ولا تكن ... حزناً فان الحزن ليس يطاق

كم مملق أمسى الثراء ببابه ... ولكم رماه على الثرى الاملاق [٤]

---

(١) اصبح الشرق من ظلمته غرباً والغرب من نوره شرقاً واسم كليهما كما هو الشرق شرق والغرب غرب

(٢) السفر كالركب المسافرون (٣) تفرى الجلد تقطع وهذا المعنى من قوله تعالى في أهل الجحيم « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب »

(٤) الثراء بالمد الغنى وبالقصر التراب مجازاً والاملاق الفقر

واقنع برزقك ما كفاك فانما ... زاد المسافر هذه الارزاق

والناس كالركب الذين اذا سروا ... ناموا ولكن المطي تساق [١]

وقال

ربما دها حزن ... فيه راحة المهج

والذي يقدره ... قادر على الفرج

وقال

اذا صحت في شرقنا صيحة ... وقلت أرى الغرب منا اقترب

فما أنت مسمع من في القبور ... ولا أنت مفزع من في السحب

وقال

زرعنا فلم نحصد وكان جدودنا ... متى يبذروا في أرضنا الحب يحصدوا

وما قتل المحل البلاد وانما ... أصاب الصدا محراثنا فهو مبرد [٢]

وقال في انسان لا فخر فيه وهو يفتخر باجداده

يامن يرى الفخر باجداده ... لست من الاجداد لو تدري

وما أرى أعجب من جدول ... ينضب والأمواه في النهر [٣]

---

(١) شبه الاعمار بالمطي وهي مسوقة الى الفناء لا تغفل وان غفل الناس كالركب الذين يسيرون ليلا ينامون ومطيهم تساق

(٢) يريد ان الشرقيين اهملوا الاخذ بالاسباب التي ارتقى بها اجدادهم ومثل لذلك بهذا التمثيل البديع وهو ان المحراث اذا ترك علاه الصدأ فاذا طال عليه الامد كان في خشونة ملمسه كالمبرد والمبرد لا يصلح للحرث وكيف يحصد من بذر الحب ولم يحرث له

(٣) الجدول الترعة الصغيرة التي تستمد من النهر والامواه جمع ماء والمراد ان اجداده ممتازون بالفخر وهو لا فخر فيه فلو كان منهم اي نفساً وهمة لا نسبا لكان مثلهم في شيء من ذلك الفخر

فاترك عظام الناس في قبرها　　ولا تقل زيدي ولا عمرى
ان كان بالعظم فخار الفتى　　فما أحق الكلاب بالفخر

وقال

لا تسأل الكذاب عن نياته　　ما دام كذابا عليك لسانه
ينبيك ما في وجهه عن قلبه　　ان الكتاب لسانه عنوانه [1]

وقال

كل امرئ يسعى بما في وسعه　　اما الى السرا أو الضراء
وأرى الحظوظ ألفن كل مرفه　　ونأت بجانبها عن البؤساء [2]
سبحانك اللهم تعطي ذا الغنى　　وتقتر الارزاق للفقراء

وقال

أرى الدنيا تؤل الى زوال　　وينضم الامير الى الحقير
فان كان الغنى كالفقر يفنى　　فما شرف الغني على الفقير

وقال

اذا ما استشارك ذو كربة　　فضيق عليه طريق الامل
فان النفوس يؤملن حتى　　ليدخلن سم الخياط الجمل [3]

وقال

ياويح دهري لم يبق في بنيه نصيح

---

(١) قال حكيم الكذاب والميت سواء لان فضيلة الحي النطق فاذا لم يوثق بكلامه فقد بطلت حياته (٢) المرفه ذو الرفاهة وهي رخاء العيش والنعم والبؤساء الفقراء البائسون

(٣) سم الخياط هو الثقب الذي يكون في رأس الابرة والنفس اذا انطلقت في الامل لا يصعب عليها أن تدخل فيه الجمل ولذلك قال افلاطون اذا قويت نفس الانسان انقطع الى الرأي واذا ضعفت انقطع الى البخت والبخت ابن الامل

فلا فؤاد سليم　　ولا وداد صحيح
وكل ما يخبأ القلب في العيون يلوح
وكلنا في عناء　　فمن أذن يستريح

وقال

اذا ما دعاك الحق للظلم مرة　　وقد كنت ذا حلم فلا تك ذا حلم
فان من الاشفاق ان زاغت النهى　　عن الحق ميل المشفقين الى الظلم [1]

وقال

ان ضقت بالعسر فلا تبتئس　　فربما دل على ضده
كالبرق يحكي في سناه اللظى　　وقد يكون الغيث من بعده
فكل الى الله وبت راضياً　　فكل ما مسك من عنده [2]

رمضان

فديتك زائراً في كل عام　　تحيي بالسلامة والسلام
وتقبل كالغمام يفيض حيناً　　ويبقى بعده أثر الغمام
وكم في الناس من دنف مشوق　　اليك وكم شجي مستهام
رمزت له بالحاظ الليالي　　وقد عيّ الزمان عن الكلام [3]
فظل يعد يوماً بعد يوم　　كما اعتادوا لأيام السقام

---

(١) زاغت النهى عن الحق مالت عنه والنهى هي العقول فاذا مالت عن الحق فالاشفاق عليها ارجاعها اليه وان ظلمت ولذلك كان خير الناس المستبد العادل

(٢) السنا النور واللظى اللهب ووكل امره الى الله سلمه اليه وتوكل عليه والجناس بين لفظة فكل الاولى ولفظة فكل الثانية لا يحتاج الى بيان وقدمر شيء كثير من البديع لم ننبه عليه لظهوره بغير تأمل

(٣) عيّ عن الكلام عجز

ومد له رواق الليل ظلا … ترف عليه أجنحة الظلام

فبات وملء عينيه منام … لتنفض عنهما كسل المنام

ولم أر قبل حبك من حبيب … كفى العشاق لوعات الغرام

فلو تدري العوالم ما درينا … لحنت للصـلاة وللصيام

بني الاسلام هـذا خير ضيف … اذا غشي الكريم ذرى الكرام (١)

يلمكم على خـير السجايا … ويجمعكم على الهمم العظام

فشـدوا فيـه ايديكم بعـزم … كما شد الكمي على الحسام

وقوموا في لياليـه الغـوالي … فما عاجت عليكم للمقام

وكم نفـر تغرهم الليالي … وما خلقـوا ولا هي للدوام

وخـلوا عادة السفهاء عنكم … فتلك عوائد القـوم اللئام (٢)

يحلون الحـرام اذا ارادوا … وقد بان الحلال من الحرام

وما كل الانام ذوي عقول … اذا عـدوا البهائم في الأنام

ومن روّته مرضعة المعاصي … فقد جاءته ايام الفطام

(١) الذرا المنزل ومن اسمائه المعان والبيت والوكن

(٢) يشير الى العوائد المحرمة التي يستقبل بها العامة رمضان ويودعونه بأسوأ منها



الباب الثاني

(في المديح)

قال يمدح أمير المؤمنين . وخليفة الرسول الامين . ويهنئه بعيد جلوسه الميمون لسنة ١٩٠١ ويذكر حادثة الارصفة التي كانت يومئذ وتهديد فرنسا للدولة العلية حرسها الله

أراك الحمى هل قبلتك ثغورها … فمالت باعطاف الغصون خمورها (١)

وحنت الى سجع الحمام كأنه … رنين الحلى اذ لاعبتها صدورها

عذيري من تلك الحبيبة مالها … تقول عذيري والمحب عذيرها (٢)

يقلب عينيه اليها ضميره … ويلفت عينيها اليه ضميرها

وما كل ما يخشاه منها يضيره … ولا كل ما تخشاه منه يضيرها

وقام اليّ العاذلات يلمنني … فقلن ألا (تنفك) قلت أسيرها (٣)

لئن لم يكن للظبي سحر عيونها … فما شيمة الغزلان الا نفورها

وما شفني الا النسيم وتيهه … عليّ اذا مالاعبته خدورها

ألا فاعذلوا اقدم ما كنت حاذرا … وعادت ليالي الدهر يحلو مرورها

(١) الأراك شجر يستاك باعواده . وكان نساء العرب يستعملن السواك

(٢) العذير مبالغة في العاذر وهو هنا خبر لمبتدأ محذوف أي من عذيري

(٣) أردن أن يقلن ألا تنفك تحبها فاسرع فقال أسيرها قبل أن يقلن تحبها فغالطهن واسجل حبها وقد اجتمع في لفظة « تنفك » التورية والطباق وفي البيت الاسجال بعد المغالطة

وأصبحت الدنيا تضاحك أهلها ... ويبسم فيهم بشرها وبشيرها

تتيه بأعياد الملوك وكيف لا ... وعيد (أمير المؤمنين) أميرها

أعاد به روح الخلافة ربها ... وجاء لها بالنصر فيه نصيرها

فراعت صناديد الملوك وماسوى ... مليك البرايا قد أقل سريرها

وجار عليها الدهر شعثاً خطوبه ... فهب لها (عبد الحميد) يجيرها

بصير بنور الله في كل أزمة ... ترد عيون الصيد حسرى ستورها [1]

وطار بها لا يرتضي النجم غاية ... تمد جناحيها عليه طيورها

يظن عداه أن في الناس مثله ... فيا ويحهم شمس الضحى مانظيرها

وغر (فرنسا) أن ترى الليث باسما ... فلم تدر حتى لج فيها (سفيرها) [2]

ايجلوك ياعضب الشباماهذت به ... وقبلك ماضر النبي هريرها [3]

وكم دولة جالت امامك جولة ... وسيقت كما ساق الشياه غرورها [4]

ملأت عليها الارض أسداً عوابساً ... يردد بين الخافقين زئيرها

فمالت بهم ان شئت يوماً قفارها ... وماجت بهم ان شئت يوماً بحورها

---

(١) صدر البيت من قوله صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله عز وجل » وعجزه من قوله تعالى « ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير » (٢) سفيرها هو المسيو كونستان المشهور في تلك الحادثة وقد انتهت بسلام كما تنبأ الشاعر . (٣) يشير الى المقالة التي كتبها المسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا في الطعن على الاسلام وما نقله فيها من قول كميون في النبي عليه الصلاة والسلام والهرير نباح الكلاب . (٤) يسوقها الطمع في غيرها والغرور بنفسها كما تساق الشياة للمجزرة وهي تحسب انها ذاهبة الى المرعى ويقال ان أشعب الطماع سئل هل رأيت أطمع منك قط فقال نعم شاة بني فلان رأت قوس قزح وهي على سطح فظنته حبل قت فوثبت اليه فاندقت عنقها وهذا مثل الدول التي تطمع في دولتنا العلية حرسها الله

وقد صفت الآجال في حومة الوغى ... وحامت على القوم العداة نسورها

إذا انتضلت رسل المنيات أحجمت ... جيوشهم فاستعجلتها قبورها [1]

وما لسيوف الترك يجهلها العدى ... وقد عرفتها قبل ذاك نحورها [2]

يهز اليك المسلمين صليلها ... وان ضم منهم جانب الصين سورها [3]

ليهن أمير المؤمنين جلوسه ... على العرش وليهن البرايا سرورها

فقد طارح (البوسفور) مصر تحية ... أضاءت لها في جانبيها قصورها

وشاهد أهلوها من الغيب نوره ... ولاح لاهليه من الغيب نورها

وقام فتاها ينطق الورق سجعه ... وقد هز عطفيه إليها هديرها [4]

بصادحة لا يطرب القوم غيرها ... وهل أنا للاشعار الاجريرها [5]

---

(١) انتضل القوم تراموا بالنبال والمثل ظاهر في اليونان

(٢) انما قال يجهلها ولم يقل يعرفها لان المخذول يتجاهل خذلانه دائماً فان شهد به عليه أثر فيه كان ادعى لتبكيته وعلى هذا جاء قوله تعالى « يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم الآيه » وكان من هذا المعنى البديع الطباق بين الجهل والعرفان (٣) صليل السيوف صوت قراعها وسور الصين مشهور ينسب المؤرخون تأسيسه لامبراطور الصين (تسين سى هونج) الذي كان ملكا قبل الميلاد المسيحي بالفي سنة . ويقال ان المواد التي بني بها هذا السور تكفي لبناء حائط يحيط بالكرة الارضية كلها مرتين ويكون ارتفاعه ستة اقدام وعرضه قدمين . وبعضهم يحسب هذا السور سد يأجوج ومأجوج المذكور في القرآن الشريف وهو خطاء .

ويقال ان أول من دخل الى الصين من المسلمين رجل من الصحابة يدعى (وهاب ابن رعشه) سافر اليها بعد الهجرة ونشر هناك الدين الحنيف وقيل غير ذلك والله اعلم وتاريخ الاسلام في الصين مشهور لاحاجة الى ذكر شيء منه هنا

(٤) الورق الحمائم جمع ورقاء وهديرها صوتها (٥) هو ابو حزره جرير بن عطيه الشاعر المشهور كان حامل لواء الشعر في زمنه وأخباره مستفيضة وحسبك بشاعر يفاخر بأبيه ثمانين شاعراً ويقارعهم به فيغلبهم جميعاً على ما كان للشعراء يومئذ من ذلاقة اللسان في هذا الضرب من الشعر وفي البيت الالتفات وهو معروف

ترف قوافيها إذا هي أقبلت ... تزف معانيها اليك سطورها

وما قدم الماضين أن زمانهم ... تقدم ان بذ الجياد أخيرها [1]

وقال

يمدح الجناب العالي الخديوي ويهنئه بعيد جلوسه السعيد على الاريكة الخديوية لسنة ١٩٠٣

شكوت هواها فاشتكتني للهجر ... وقد غلب الامران فيها على أمري

وبت ولا من حيلة غير أنني ... أرى الذكر يصبيني فاصبو الى الذكر

مهاة لعينيها تغزلت في المهى ... وماغزلي في سحرهن سوى السحر

وأعشق فيها الشمس والبدر والذي ... يشبهه العشاق بالشمس والبدر

وما مضنى الا جفاها ولحظها ... فان كلا السيفين أغمد في صدري

تراءت لنا بالقصر يوماً فلم تزل ... ترفرف نفسي بعد ذاك على القصر

وراحت وقد صدت وبين قلوبنا ... مسافة ما بين الوصال الى الهجر

فقاسمتها قلبي وقلت لعاذلي ... لها شطرها مما قسمت ولي شطري

وأنفقت أيامي كما أسرفت يدي ... جواداً بمالي في هواها وبالعمر

ولما تلاقينا ومالت تجافياً ... كما تحذر الورقاء جارحة الصقر

شددت على قلبي يدي ويد الهوى ... تقلبه بين الضلوع على جمر

وقلت لها أبقي على الود ساعة ... لعل لنا في الغيب يوماً ولا ندري

فقالت أغير (العيد) يوم لشاعر ... بحسبك يوم العيد يا قمر الشعر

فقمت وقد أبصرت قصدي ولم أزل ... بفكري حتى أشرق الوحي من فكري

(١) بذ الجياد أخيرها سبقها والمراد بالجياد هنا التي تكون في السباق ولها أسماء على حسب ترتيبها وهي معروفة

وعندي من أشتات ما في كنوزه ... قلائد شتى من نظيم ومن نثر

(أعباس) ان لم يبتدر مدحك الورى ... فلا نطقت لسن بمدحك لا تجرى

على انك استغنيت عن كل مادح ... بآثارك الغرا وأيامك الغر

وأوحيت لي ذا الشعر حتى كأنما ... لقطت نفيس الدر من ساحل البحر

ولم يك مدحي غير أوصافك التي ... هي الزهر ان يعبق مديحي كالعطر

وان رخيصاً كل قول وان غلا ... لملك بلاد تربهن من التبر

جرى النيل فيها حاكياً نيل كفه ... وهل في الورى من يعدل البحر بالنهر

فأغروا به (الخزان) حتى خلته ... وصياً يريه كيف ينفق بالقدر [1]

وما النيل في مصر سوى دم قلبها ... إذا احفظوه دامت الروح في مصر

يفيض به في عصر (عباس) ما ترى ... من العلم لا ما كان من نبأ الخدر [2]

(١) احتفل بافتتاح الخزان في يوم ١٠ دسمبر سنة ١٩٠٢ • وقد كان النيل يصب في البحر الملح من مائه العذب ما كانت مصر في حاجة اليه فكأن الخزان أقيم وصياً على هذا المبذر المتلاف • يعلمه الانفاق بالقدر من غير اسراف • ولم يحم احد حول هذا المعنى على كثرة ما قرأناه للشعراء في وصف الخزان مع انه اقرب الى الفكر من كل معنى سواه وأفضل •

(٢) في الكلام مضاف محذوف والتقدير ما كان من نبأ ذات الخدر وذلك ان عمرو ابن العاص لما فتح مصر أتاه أهلها وقد أصبحوا في بؤونه من أشهر القبط فقالوا أيها الامير ان لنيلنا سنة لا يجري الا بها فقال وما ذاك قالوا اذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين ابويها فارضيناهما وجعلنا عليها من الحلى والثياب افضل ما يكون ثم القيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فاقاموا بؤونه وابيب ومسرى لا يجرى قليلا ولا كثيراً حتى هموا بالجلاء فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر قد اصبت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك بطاقة فالقها في داخل النيل اذا اتاك كتابي فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فاذا فيها • من عبد الله امير المؤمنين الى

فتى الملك لا عسر بعصرك يشتكى … وقد كان هذا اليوم فاتحة اليسر
تضيء بك الأيام حتى كأنها … دياجي الليالي قابلت غرة الفجر
ويوم تبوأت الأريكة سطروا … معالي هذا الشعب في صحف الفخر [1]
رأوك فتى فوق الملوك عزيمة … وشتان ما بين العصافير والنسر
على حلم عثمان وهيبة حيدر … وعدل أبي حفص وعزم أبي بكر [2]
فدمت مرجى في بنيك مهنئاً … دوام جلال البدر في الأنجم الزهر

وقال

يمدح انسان الزمان . وشرف الانسان فضيلة الاستاذ العظيم والفيلسوف العليم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حفظه الله

لو كنت راضية رعيت وفائي … بعد العواذل فيك والرقباء
خالقهن غداة علمني الهوى … أن النساء ضرائر الحسناء
ياظبية الوعسا وهل بعث الجوى … في القلب الا ظبية الوعساء

نيل مصر اما بعد فان كنت تجري من قبلك فلا تجري وان كان الواحد القهار يجريك فنسأل الواحد القهار ان يجريك . فالقى عمر البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء فاصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله ستة عشر ذراعا وطمست تلك السنة . والظاهر ان هذه العادة قديمة جداً لورود ما يشبهها في خرافات اليونان الاقدمين (١) تبوأ الاريكة اي ارتقي العرش

(٢) الحيدر والحيدرة الاسد وهو اسم لسيدنا علي ومن قوله عليه السلام ولم يختلف الرواة في اثباتها له

انا الذي سمتني أمي حيدره … كليث غابات غليظ القصره
اكيلكم بالسيف كيل السندره

وأبو حفص كنية سيدنا عمر بن الخطاب . والآثار في حلم عثمان وهيبة علي وعدل عمر وعزم ابي بكر رضي الله عنهم مشهوره ولم نعلم أحداً جمع الخلفاء الراشدين في بيت واحد قبل شاعرنا

كلتا يدي يد تكفكف أدمعي … ويد أشد بها على احشائي
ولكم ملأت الليل شجواً ظنه الـ … ـعذال شدو حمامة ورقاء
حتى تلثمت النجوم وساقطت … عين الظلام مدامع الانداء [1]
فجرت على خد الصباح يراعتي … وتعلقت بكواكب الجوزاء
فنظمتها مدح (الامام) وانه … لأجل من يهدى اليه ثنائي
(ياعبده) والدهر في غلوائه … وبنوه ما كفوا من الغلواء [2]
مر ذا الزمان تظلنا أفياؤه … وسم الليالي باليد البيضاء
لولاك كان الدهر بؤساً كله … والدهر يوما شدة ورخاء
مغض ولولا ان تهابك نفسه … لهوت صواعقه على البؤساء
أذكيت للشرك البيان فذره … والنار لا تبقى على الحلفاء
وأريتنا الخلفاء فيك وانـنا … لنقول عنك خليفة الخلفاء [3]
من مبلغ الدنيا بأنك مجدها … والدين أنك مرغم الاعداء
كشفت لك الاشياء عما أبطنت … حتى اجتليت بواطن الاشياء
ياواحد الدنيا المضيء على الورى … كالشمس جاءك واحد الشعراء
لما رآه الناس يمدح حاتما … نظروا اليه فلقبوه الطائي [4]

(١) مما نذكره فكاهة ان قدماء اليونان كانوا يعتقدون الهة اسمها (اورور) اي الفجر فزعموا انه قد كان لها ولد يدعى (ممنون) فذهب لاعانة الملك (ابريام) في حرب مدينة (ترواده) فقتله (اشيل) وبكت عليه أمه زمناً طويلا فكانوا يقولون ان دمعها هو الندى (٢) غلواء الدهر غلوه في نكبة اهله

(٣) الخلفاء هم الاربعة الراشدون رضى الله عنهم وعنا :م:

(٤) حاتم هو كريم طيئ المشهور . الذي لم تمح اسمه الدهور واخباره في الكرم لا تعد بل لا يعدل به غيره في ذلك . والطائي هو ابو تمام حبيب بن اوس الشاعر الكبير المشهور وكان واحد عصره في شعره واحتجاج صاحبنا على انه واحد الشعراء

وقال

يمدح سلطان اليراع وامام البيان بلا نزاع سعادة محمود باشا سامي البارودي حفظه الله

مرت لياليها ولما ترجع   فالعين ان هجع السها لم تهجع (١)

أيام تهتف بي المهى ويغرن ان   ذكروا حنيني للغزال الاتلع

وأرى تحيتهن في جيب الصبا   وسلامهن مع البروق اللمع

زمن به كان الزمان يهابني   وحوادث الايام ترهب موضعي

ينظرن مني قيصراً في قصره   ويخفن من همي عزيمة تبع (٢)

في حين لا العبرات تكلم أعيني   حزنا ولا النيران تكوى أضلعي

وبلوت من ظلمات يونس ليلة   فنسخت آياتها بآية يوشع (٣)

بهذا البيت من ابدع ما يسمع . قال العلماء خرج من قبيلة طيء ثلاثة كل واحد مجيد في بابه حاتم الطائي في جوده وداود بن نصير الطائي في زهده وابو تمام حبيب ابن أوس الطائى في شعره . والذي ننبه اليه هنا المناسبة بين حاتم والطائي وفي الطائي الاستخدام اذا اعتبر علماً بالغلبة على ابي تمام ولم نقف في البديع على اسم لهذه المناسبة ولعله نوع جديد منه فليسمه العلماء بما شاؤا

(١) السها كوكب خفي من بنات نعش الصغرى وكانت العرب تمتحن به أبصارها (٢) يسمي كل من يملك على الروم قيصر وكل من يملك على الفرس كسرى وتبع لمن يملك على اليمن ولا يسمى به الا اذا كانت له حمير وحضرموت والهم والهمة بمعنى (٣) يونس هو ذو النون عليه السلام المراد بقوله تعالى « وذو النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات الآيه » وقال صاحب الكشاف في الظلمات أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله تعالى « ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات » ويوشع هو ابن نون صاحب موسى عليهما السلام وقد جاء في الاصحاح العاشر بعد ان ذكر اجتماع ملوك الاموريين الخمسة ونزولهم بجيوشهم على جبعون) وصعود يشوع اليهم برجال الحرب وجبابرة البأس وان الرب رماهم بحجارة عظيمة

يجري الهوى طرباً على آثارها   مشي الجآذر للغدير المترع (١)

ظمآن لا ترويه الا عبرة   أو مهجة سالت بجفني مولع

حسبوه غصناً في الثياب وزهرة   تحت القميص ووردة في البرقع (٢)

أمسيت من آماله في ليلة   ضل الصباح بها طريق المطلع

تشكو نجوم الليل أني رعتها   ومتى تروع أنة المتوجع

وكأنها اذ أحدقت في جانبي   حسبت هلال سمائها في مضجعي

غر (كمحمود) السريرة ان دعا   زهر كغرته المضيئة ان دعى

لو انصفوها لاستبانوا انها   حبات ذياك القريض المبدع

عرفوا به شعر الفحول واهله   وسجية المطبوع والمتطبع

فلو ان عمراً اسمعوه حماسه   لحما به الصمصام ان لم يقطع (٣)

او انشدوا المجنون بعض نسيبه   لنسي به ليلى فلم يتفجع (٤)

لم اتل يوماً آية من آيه   الا حسبت الكون يتلو هامي

من السماء ١٢ حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الاموريين امام بني اسرائيل وقال امام عيون اسرائيل ياشمس دومي على جبعون وياقمر على وادي ايلون ١٣٠ فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من اعدائه . اليس هكذا مكتوبا في سفر ياشر . فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل . »

(١) الجآذر جمع جؤذر وهو ولد الظبية والمترع الملآن (٢) يعني الزهرة المنعقدة في القوام المتهدلة بجانب أختها على الصدر .

(٣) هو عمرو بن معديكرب الزبيدي فارس زبيد المشهور والصمصام أو الصمصامه سيفه . يقال ان طوله سبعة اشبار وافية وعرضه شبران

(٤) المجنون هو مجنون ليلى المشهور واختلفوا في اسمه كما اختلفوا في وجوده ومن نظر في الشعر المروي عنه وجد اكثره لغيره والتجنيس بين نسيبه ونسي به هو الذي يسمونه المفروق لاتفاق الكلمتين لفظاً لا خطاً ولم يسبق شاعرنا اليه فيما نعلم

وأراه أحيي للبلاغة دولة · مات ابن برد دونها والاصمعي [١]

وأبيك لولا معجزات بيانه · ما كان في احيائها من مطمع

وقال

يمدح شاعر العصر . وامام النظم والنثر . الاستاذ الكامل الشيخ عبد المحسن الكاظمي الشهير حفظه الله

لك أن تشا وعلي أن لا اجزعا · ولي الهوى وعليك أن تتمنعا

ما الحب الا ان تكون مملكا · وتذل يا ملك القلوب وتخضعا

زعم الوشاة بأنني لك (صارم) · أوما رأيت لكل واش مصرعا [٢]

ولو ان حبل هواي كان مقطعا · ما بات قلبي في هواك مقطعا

غادرت عيني لو يفرق سهدها · في الناس ما بات العواذل هجعا

وأمنت ان اهوى سواك فرعتني · حتى امنت عليك ان تتوجعا

(١) ابن برد هو بشار ابن برد الشاعر الشهير وسيأتي شيء من خبره في باب الغزل والنسيب والاصمعي هو ابو سعيد عبد الملك بن قريب وكان اماماً في الاخبار والنوادر والملح والغرائب يحفظ من الاراجيز وحدها ستة عشر الف وقال فيه ابو عبيدة ما قرأ كتاباً قط فاحتاج الى ان يعود فيه ولا دخل قلبه شيء نخرج عنه

(٢) في هذا البيت الاستخدام وهو اطلاق لفظ مشترك بين معنيين ثم يؤتى بلفظين يفهم من احدهما احد المعنيين ومن الآخر المعنى الآخر وقد يكون اللفظان متأخرين عن اللفظ المشترك وقد يكونان متقدمين وقد يكون المشترك بينهما كما هنا فان لفظة صارم مشتركة بين معنى الهاجر والسيف وقد أريد المعنيان جميعاً فالوشاة يزعمون انه صارم أي هاجر لينفروا حبيبه وهو يقول انه صارم له أي سيف ويستدل على ذلك بان لكل واش مصرعاً والفرق بين الاستخدام والتورية ان الاستخدام ارادة المعنيين وأما التورية فارادة أحدهما وهذا الاستخدام في لفظة « صارم » والذي مر في لفظة « الطائي » مما لم يسبق اليه

لا تمض في هذا الدلال فانما · أهوى دلالك أن يكون تصنعا

اني ليقتلني الصدود فكيف بي · وأرى صدودك والنوى اجتمعا معا

فسل الدجى عني تنبئك الدجى · واسأل عن العينين هذي الادمعا

وأصخ لشمري ان رحمت فلم يزل · شعري يحن اليك حتى تسمعا

أمسي بحسنك مولعاً وخلقت لا · تهوى الذي يمسي بحسنك مولعا

لو لم أزنه بمدح (عبد المحسن) الـــمولى لما باهى الدراري لمعا [١]

ملك البيان ومن غدا في أهله · فذ المشارق والمغارب أجمعا

نثروا على تاج الزمان قريضه · فغدا به تاج الزمان مرصعا

ولو ان للعرب الكرام عقوده · ما عطلوا في البيت منها موضعا [٢]

يا كوكب الفلك الذي آياته · تأبى على كل (امرئ) أن يطمعا

عدوا أكاسرة القريض ثلاثة · ولقد أراهم أصبحوا بك أربعا [٣]

سل ذلك الغطريف ماذا يدعي · لو أدركته معجزاتك ما أدعى [٤]

(١) المولى من أعظم الالقاب في العراق لا يطلق الا على اكابر الائمة ولذلك استعمل هنا فان الممدوح من العراق وهو فخره وزينته

(٢) كان العرب في الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الارض فلا يعبأ به ولا ينشده احد حتى يأتي مكة في موسم الحج فيعرضه على أندية قريش في سوق عكاظ فان استحسن روي وكان فخراً لقائله وعلق على ركن من أركان الكعبة حتى ينظر اليه وان لم يستحسن رمي وطرح ولم يعبأ به وكانت المعلقات تسمى المذهبات لانها كانت تكتب بماء الذهب ثم تعلق فيقال مذهبة فلان أي معلقته

(٣) أجمع العلماء على ان أشعر الناس ثلاثة ابو تمام والبحتري والمتنبي حتى قال بعضهم انه حفظ مالا يحصى من شعر المتقدمين والمتأخرين ووقف على كل ديوان ثم كان اختياره بعد ذلك على دواوين هؤلاء الثلاثة

(٤) الغطرفة الخيلاء يشير الى ابي الطيب احمد بن الحسين المتنبي الشاعر الكبير المشهور وقد كان ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم

أو ما تركت السابقين اذا جروا … ومشيت هوناً دون شأوك ظلعا [1]

ولقد أطاعتك الكواكب مثلما … كانت ذكاء وقد أطاعت يوشعا

وسطا على الشعر الزمان وغاله … فحفظت ما غال الزمان وضيعا

وأريتنا من سحر بابل أعيناً … تجري علينا البابلي مشعشعا [2]

تركت فؤاد الدهر يخفق صبوة … وحنين أهل الخافقين مرجعا

فاذا تلوها أصغت الدنيا لها … حتى كأن لكل شيء مسمعا

وسجعت في مصر وملك الشعر في … مصر إذا اشتقت العراق لتسجعا

مازلت تذكرها الفرات ودجلة … حتى بكى النيل السعيد وماوعى [3]

فاجعل لمدحي من قبولك موضعاً … واجعل لشعري في بيانك منزعا

إني اذا أرهفت حد يراعتي … لم تلق في الشعراء غيري مبدعا

وقال

يمدح فضيلة عمه الأستاذ الافضل . والعالم الاكمل . الشيخ عبدالحميد أفندي الرافعي ويهنئه باسناد قضاء المدينة المنورة اليه على ساكنها أفضل الصلاة والسلام . من لدن أمير المؤمنين أعزه الله وايده واعز

فخرج اليه لؤلؤ امير حمص نائب الاخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلا ثم استتابه وأطلقه ولذلك سمي المتنبي وقيل بل لانه قال أنا اول من تنبأ بالشعر

(١) مشى الهوينا ومشى هوناً اي على مهل والشأو الغاية والظلع جمع ظالع وهو الذي يغمز في مشيته

(٢) بابل بلد في العراق اليه ينسب السحر والخمر وسيأتي ذكره في باب الوصف ويقال قصيدة فلان التي يقول فيها كذا عين شعره أي أحسنه فالملاحة كلها في العيون وشعشع الماء بالثلج والراح بالماء مزجهما (٣) الفرات ودجلة نهران مشهوران ويقال لهما الرافدان ولا يخفى مراعاة النظير في البيت

به الاسلام والمسلمين

أتتك القوافي مالها عنك مذهب … فأنت بها برٌّ وأنت لها أب

وماوجدت مثلي لها اليوم شاعراً … أياديك تمليها عليَّ فأكتب [1]

وهل كلساني إن مدحتك مبدع … وهل كبياني ساحر حين أنسب [2]

دع الشعر تقذفه من البحر لجة … اليك ويلقيه من البر سبسب [3]

فان يمم الغر الميامين (مكة) … حجيجاً فهذي كعبة الشعر (يثرب) [4]

طلعت عليها طلعة البدر بعد ما … تجللها من ظلمة الظلم غيهب [5]

بوجه لو ان الشمس تنظر مرة … اليه لكانت ضحوة الصبح تغرب

فجليت عنها ما أدلهم وأبرقت … أسارير كانت قبل ذلك تقطب [6]

وهل كنت الا ابن الذي فاض بره … عليها كما انهلَّ الغمام وأعذب [7]

فكن مثله عدلاً وكن مثله تقى … وصن لبنيه مايد الدهر تنهب

---

(١) الايادي جمع يد وهي النعمة اما الجارحة فجمعها ايدي (٢) نسب بالمرأة نسباً ونسيباً شبب بها (٣) السبسب المفازة أو الارض المستوية البعيدة والمراد أن الشعر يسافر اليه من مصر فيجتاز البحر ثم يمر في البر حتى يقع اليه

(٤) الغر الميامين هم المؤمنون وقد وصفوا بالغر المحجلين ايضاً . والحجيج والحاج الذين يقصدون الحج ويثرب ويقال لها أثرب اسم مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم سميت باول من سكنها من ولد سام بن نوح وقيل باسم رجل من العمالقة وقيل هو اسم ارضها . قال ابن الاثير يثرب اسم مدينة النبي صلى الله عليه وسلم قديمة فغيرها وسماها طيبة وطابة كراهية التثريب وهو اللوم والتعيير

(٥) تجللها اي غشيها والغيهب القطعة من ظلام الليل

(٦) ادلهم اظلم والاسارير محاسن الوجه والخدان والوجنتان يقال برقت اسرة الرجل وابرقت اذا تهلل والقطوب العبوس

(٧) يريد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه الجد الاكبر لهذه الاسرة الشريفة والاصل لهذه الدوحة الباسقة بارك الله فيها

سما بك أصل طبق الافق ذكرهُ ... وسارت به الامثال في الارض تضربُ

وقوم هم الغر الكواكب كلما ... تغيب منهم كوكب لاح كوكبُ

وهم معشر الفاروق من كل أغلب ... نماه الى ليث العرينة أغلبُ

حفظت لهم مجداً وكان مضيعاً ... وأبقيت فخراً كاد لولاك يذهبُ

ونالك فضل الله والملك الذي ... أربى كل ملك دونه يتهيبُ

اذا ذكروه كبر الشرق بهجة ... وان لقبوه اكبر الشرق مغربُ (١)

يصدع قلب الحاسدين وإنه ... الى كل قلب في الورى لمحببُ

ويرضى رعاياه فيردى عدوه ... وما زال في الحالين يرجى ويرهبُ

حباك بها غراء يفتر ثغرها ... وكنت لها بعلا وغيرك يخطبُ (٢)

وكم أملتها انفس فتحجبت ... وبنت العلا الاعن الكفؤ تحجبُ

سموت اليها ما ونيت وقد أرى ... ذوائب قوم دونها تتذبذب (٣)

فطر فوقها ما العز عنك ببعد ... وفضل أمير المؤمنين مقرب

كأني برب الروضة اليوم باسما ... وصديقه يزهى وجدك يعجب (٤)

ويثرب مما أدركت من رجائها ... بمقدمك الميمون باتت ترحب

(١) اذا ذكر لقب امير المؤمنين في الغرب تركه يقعد تارة ويقوم واخوف ما يخافون على انفسهم أن تجمع كلمة المسلمين حتى أن بعض قوادهم قال انه لا يصعب عليه ان يفتح اوربا كلها بمائة الف من جيوش المسلمين

(٢) كان امير المؤمنين ايده الله قد وعده بهاقبل ذلك فمثل بهذا التمثيل البديع

(٣) تتذبذب تتردد في الهواء · بعد ان ذكر سموه اليها ذكر سقوط غيره عنها

(٤) رب الروضة اي صاحبها وهو النبي صلى الله عليه وسلم والروضة ما بين القبر الشريف والمنبر لقوله عليه الصلاة والسلام ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة والصديق هو ابو بكر رضي الله عنه وجد الممدوح والمادح والشارح هو سيدنا عمر ولم يدفن معه صلى الله عليه وسلم غيرهما رضى الله عنهما

الباب الثالث

﴿ في الوصف ﴾

قال يصف القرى وفجرها والعيش فيها

دموع الفجر هذى أم دموعي ... ترقرق بين اجفان الربيع (١)

مصفقة كصافية جلاها ... باكؤسه الخليل على الخليع (٢)

وهن من الازاهر في شفاه ... كما يحلو اللمى بعد الهجوع (٣)

وثدي الروض در على جناه ... درور المرضعات على الرضيع (٤)

ومد الليل أنفاساً عذابا ... كأنفاس المليحة للضجيع

ولاح الصبح يسفر عن جبين ... عليه الشمس حالية السطوع

وقد بكرت لتملأ جرتيها ... فتاة الريف كالرشاء المروع

فوردت الطبيعة وجنتيها ... ونضر وجهها الحسن الطبيعي

(١) ترقرق الدمع دار في حملاق العين (٢) المصفقة المصفاة يقال صفق الماء اذا صفاه والصافية من اسماء الخمر

(٣) أصل هذا المعنى الذي تناوله الشعراء كلهم لعلقمة في قوله

يحملن اترجة نضخ العبير بها ... كأن تطيابها في الانف مشموم

يشير الي انما نال هذه المرأة التي يصفها من مضض السير واصفرار لونها كالاترجة وانها ما تحركت تزيد طيباً بخلاف تحرك الناس· ومنه أخذ ابن الرومي وغيره تشبيه المرأة بالروضة لطيب ثغرها في السحر بخلاف انفاس البشر ·

(٤) شبه اكام الثمر بثدي المرضعات وهي تقطر ندى في الصبح على الجني وهو الحشيش الذي شبهه هنا بالرضيع

تروح وتغتدي والزهر يرنو ⁂ اليها في الذهاب وفي الرجوع
وثغر النهر يبسم عن لماها ⁂ وان لم تشف ريقته ولوعي [١]
وتخبرنا النسائم عن شذاها ⁂ كما تروي الهواجر عن ضلوعي
مكحلة ولا كحل ولكن ⁂ سل الظبيات عن ذاك الصنيع
وقد مدت حواجبها شراكاً ⁂ وطير الروح دانية الوقوع
أراها ان تكنفها حسان ⁂ كنور الكهرباءة في الشموع
وتحجب حين تخفى الشمس لكن ⁂ تسابق أختها عند الطلوع [٢]
فياقلب اعص كل هوى سواها ⁂ ويا نفسي سواها لا تطيعي
فذاك الحسن لا ما تشتريه ⁂ ضرائرها من الحسن المبيع [٣]
وما تحوى المدائن غير بدع ⁂ وان حسبوا التبدع كالبديع
فقد حسنت هنالك كل أنثى ⁂ كأن الحسن قسم في الجميع
يدممن الخدود وأي عين ⁂ تحب الخد يصبغ بالنجيع [٤]
وكم شفعن ذاك الحسن لكن ⁂ متى احتاج الغواني للشفيع
وهل تقف القلوب على قوام ⁂ كأن ذيوله قطع القلوع [٥]

---

(١) اللمى والريقة بمعنى الريق (٢) ما الطف ماعبر عن خروجهن قبل بزوغ الشمس وتلك عادة نساء القرى وقد كان العرب يصفون المرأة الناعمة بأنها نؤوم الضحى والكسل ممدوح في النساء فخالفهم الشاعر هنا (٣) في قوله الحسن المبيع اشارة بديعة وذلك أن هذين اللفظين احتويا على كل اسم لما تبتاعه النساء للتحسن والاشارة احتواء اللفظ القليل على المعنى الكثير كقوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم
(٤) دممت المرأة خدها صبغته (بالاحمر) والنجيع الدم (٥) قال بعض الشعراء
كتب القتل والقتال علينا ⁂ وعلى الغانيات جر الذيول
وكلهم على ذلك وما ادري كيف غايرهم شاعرنا واني لعلى غير رأيه ان كان لايزال عليه فان حمل اللطف احدى الحسان على اقامة دعوى فلتبعدني من (ذيلها)

فمالي والمدائن ما تراها ⁂ مدافن ما بهن سوى صريع
وهل كان التمدن في بنيه ⁂ سوى ما يفعلون من الفظيع
وهل أبصرت بين القوم طراً ⁂ سوى رجل مضاع أومضيع
فهذا بات في شبع وري ⁂ وذلك مات من ظمأ وجوع
وأحلى من أوائك في عيوني ⁂ بأرياف القرى نظر القطيع [١]
وان الامر تمضيه فتاة ⁂ لخير من فتى غمر جزوع
وما شظف المعيشة في هناء ⁂ تقر به سوى العيش المريع [٢]
فلو مزجوا ببعض الهم ماء ⁂ لصار الماء كالسم النقيع
ولو أن الرواسي كن تبراً ⁂ لما كان الغنى غير القنوع [٣]

---

(١) سلك في هذا مسلك ميسون بنت بحدل في تفضيل البداوة ونرى من واجب الادب أن نذكر ابياتها هنا . لما اتصلت بمعاوية رحمه الله ونقلها من البدو الى الشام كانت تكثر الحنين الى اناسها والتذكر لمسقط رأسها فاستمع عليها ذات يوم وهي تنشد
لبيت تخفق الارواح فيه ⁂ أحب اليّ من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني ⁂ أحب اليّ من لبس الشفوف
واكل كسيرة في كسر بيتي ⁂ أحب اليّ من اكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج ⁂ أحب اليّ من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دونى ⁂ أحب اليّ من قط الوف
وبكر يتبع الاظعان صعب ⁂ أحب اليّ من بغل زفوف
وخرق من بني عمي نحيف ⁂ أحب اليّ من علج عنيف
فقال معاويه ما رضيت ابنه بحدل حتى جعلتني علجاً عنيفاً (٢) شظف المعيشة خشونتها
(٣) من خرافات قدماء اليونان التي لا تخلو من حكمة وفائدة انهم زعموا ان شخصاً اسمه (ميداس) كان يلح على الههم الاكبر (جوبتير) في ان يغنيه غنى واسعاً فلما غضب الاله من كثرة الحاحه دعا عليه ان لا يمس بيده شيئاً الا انقلب ذهباً فكان بعد ذلك اذا تناول الرغيف صار ذهباً واذا مس الماء عاد كذلك وما يضع

أرى ذا الليل قد خفقت حشاه   وبيض عينه نزف الدموع [1]

أكب يرى له كبداً تنزى   زجاجتها منوعة الصدوع

وابصر بعد ذلك من قريب   جيوش الصبح تمرح في الربوع

فخلى ما تملكه وولى   كما فرق الجبان من الجموع [2]

وكنت مخبأ في جانبيه   فيا شمس اكتميني أو أذيعي

وقال

يصف الاصيل واقبال الليل ونضرة الرياض وتغريد الطيور ثم استطرد من ذلك الى ما يخطر على قلبه . وعارض بها النابغة على غير طريقة الجاهلية . [3]

ثوب السماء مطرز بالعسجد   وكأنها لبست قميص زبرجد

والشمس عاصبة الجبين مريضة   تصفر في منديلها المتورد

حسدت نظيرتها فأسقمها الأسى   ان السقام علامة في الحسد

ورأت غبار الليل ينفض فوقها   في الافق فانطبقت كعين الارمد

ومضى النهار يشق في اثوابه   حزناً واقبل في رداء اسود

فتهللت غرر النجوم كأنما   كانت اضاحية السماء بمرصد [4]

وكأنها عقد تناثر دره   من جيد غانية ولم تتعمد

يده على شيء الا صار ذهباً وكان آخر هذا الغنى الواسع انه مات جوعاً (من كثرة الذهب) وهي شرميتات الفقر . والرواسي هي الجبال

(١) نزفت العبرة كسمع فنيت (٢) فرق الجبان من الجموع فزع وخاف من الجيوش

(٣) قصيدة النابغة التي عارضها الشاعر بهذه القصيدة هي التي يقول في مطلعها

أمن آل مية رائح أو مغتدي   عجلان ذا زاد وغير مزود

وهي مشهورة (٤) ضاحية السماء هي الشمس

أو حلي ربات الدلال أذلنه   شتى يروح على النهود ويغتدي [1]

والافق بين مفضض ومذهب   كالجيد بين معطل ومقلد

وكأن صفحة بدره اذ أشرقت   مصقولة الخدين صفحة أمرد

وكأن ضوء الفجر رونق صارم   نضيت صحيفته ولما تغمد

والارض في حلل كست أطرافها   الا معاصم نهرها المتجرد

حفت جوانبه الرياض كأنها   وشي الفرند على غرار مهند

وكأنه صدر المليحة عارياً   مابين لبتها وبين المعقد [2]

وكأن أثواب الرياض من الصبا   عبقت بانفاس الحسان الخرد

يمشي النسيم خلالها مترنحاً   بين الغدير وبين ظل أبرد

والطير مائلة على أوكارها   منها مغردة وغير مغرد

باتت تناغى لا تحاذر فاجعاً   مما نكابد في الزمان الانكد [3]

ياطير مافي العيش الا حسرة   ان خلتها نقصت قليلا تزدد

لم يمنع القصر المشيد ملوكه   منها فكيف وقاكها الغصن الندي

تابى على الاحرار الاذلة   ولو انهم صعدوا مدار الفرقد

(١) اذان الحلي اي ارسلنه على غير ترتيب وكذلك النجوم تكون بددا

(٢) اللبة موضع القلادة من الصدر والمعقد مكان عقد الازار ولعله اليوم موضع (قفل الحزام الذهبي) . والضمير في كأنه عائد على النهر وهذا حده طولا واما عرضاً فلا شك انه مابين النهدين . كالنيل اذ ينساب بين الجبلين . (٣) ناغت المرأة صبيها كلمته بما يجذله والمراد هنا التعبير عن تجاوب الطيور اذا مالت على اعشاشها وقد حدثنا الناظم قال أنشدت شيخ الشعراء سعادة محمود باشا البارودي هذه القصيدة فلما بلغت هذا البيت قال انها تحاذر الصقر فقلت مابلغ الى علمنا ان الطيور اذا تناغت على أوكارها وقد بسط الليل جناحيه تبيت تحاذر الجوارح الا ان تكون علمت منطق الطير اه

فانعم بوكرك انه لك جنة   كالخلد لولا أنت غير مخلد

كم واجد منا تقاذف قلبه   ذات الدلال فان دنا هو تبعد

فتاكة الالحاظ أنى يممت   سمعت زفير متيم متنهد

كالبدر لولا انها إنسية   والشمس لولا أنها لم تعبد

قالت عشقت وماقضيت كمن قضوا   هذا الطريق الى الردى فتزود

دع عنك أمر غد اذا ماخفته   يوماً لعلك لاتعيش الى غد

فلقد اراك اليوم من أثر الهوى   كالشمس ان لم تحتجب فكأن قد (١)

وقال في

الخيام والقصور

أما حدثوك بأخبارها   وقد نزل البين في دارها

ليالي (امرؤ القيس) بين الخيام   يباهي السماء بأقمارها (٢)

فما لك تذكر تلك الديار   وما لك تبكي لتذكارها

وبين الضلوع قلوب عفت   وضن الغرام بآثارها

قلوب فزعنا بها للدموع   فما اطفأ الدمع من نارها

تهز لها الغانيات القدود   اذا ما تناجت باسرارها

(١) يحذف الفعل بعد قد اذا علم مما قبلها كما هنا وكما في بيت النابغة

أفد الترحل غير ان ركابنا   لما تزل برحالنا وكأن قد

والمعني أراك من أثر الهوى وهي الصفرة التي تمسح وجه العاشق كالشمس ساعة مغيبها ان لم تكن احتجبت فكأن قد احتجبت لقرب موعدها

(٢) هو أبو وهب أو أبو الحارث امرؤ القيس بن حجر الكندى امام شعراء الجاهلية بالاجماع وحامل لوائهم واسمه في الاصل جندح وامرؤ القيس لقب غلب عليه ومعناه رجل الشدة وهو أول من فتح للشعراء باب البيان وقد مر ذلك في مقدمة الديوان ومات امرؤ القيس قبل النبي صلى الله عليه وسلم بثمانين سنة تقريباً

ألا فرعى الله تلك القصور   وحلى السماء بأنوارها

هي الخلد والحور مكنونة   مقاصيرهن (بأدوارها)

يبيت يحن لها جارها   وان لم تحن الى جارها

قصور تدل بأيامها   دلال الرياض بآذارها (١)

اذا طلع الصبح حيث ذكاء   شموساً توارت بأستارها (٢)

تكاد لرقة سكانها   ترد السلام لزوارها

هم علموها اجتذاب القلوب   وشق مرائر نظارها

وقد سامحتها خطوب الزمان   وضنت عليها باكدارها

ودارت بمعصمها كالسوار   رياض تسامت باسوارها

تحاكي المجرة أنهارها   وتحكي النجوم بأزهارها

كساها الشتاء ثياب الربيع   وزرت عليها بأزرارها

اذا اعتل فيها نسيم الصباح   ناحت بألسن أطيارها

وان طلب الظل فيها الهجير   تأبت عليه بأشجارها

وان حل فيها الندامى رأوا   لياليها مثل أسحارها (٣)

ودب النسيم لعيدانهم   فباتت تنوح بأوتارها

وأنستهم معبداً والغريض • وشدو القيان بأشعارها (٤)

(١) آذار احد الشهور الرومية وهي آب وايلول وتشرين اول وتشرين ثاني وكانون أول وكانون ثاني وشباط و آذار ونيسان وايار وحزيران وتموز

(٢) ذكاء اسم للشمس ولا تدخله ال ومنه ابن ذكاء للصبح

(٣) يقال في الاماكن المعتدلة الهواء ليلها كله سحر ونهارها كله غداة

(٤) معبد هو ابن وهب وقيل ابن قطنى المغني المشهور مات في ايام الوليد بن يزيد بدمشق وقال الجمحي بلغني أن معبدا قال والله لقد صنعت الحاناً لايقدر

وأهل البضيع وذكرى حبيب   وشد المطى بأكوارها [١]

سقتها السماء بما تشتهي   وجادت عليها بأمطارها

وقال في الخمر [٢]

مل بي عن الورد واسقني القدحا   فوردها من خدودك افتضحا

وقد شكا للنسيم خجلته   فحين مر النسيم بي نفحا [٣]

وقم بنا نصطبح معتقة   واسمح بها فالزمان قد سمحا

كأنها فرحة على كبد   تنفض عنها الهموم والترحا

فأجلُ بها النفس إنها صدأت   وَأسُ بها القلب إنهُ قرحا [٤]

شبعان ممتلئ ولا سقاء يحمل قربة على الترنم بها ولقد صنعت الحاناً لا يقدر المتكئ ان يترنم بها حتى يقعد مستوفزا ولا القاعد حتى يقوم

واما الغريض فاسمه عبد الملك ولقب بالغريض لانه كان طري الوجه نضراً غض الشباب حسن المنظر والغريض الطري من كل شيء وكان احذق اهل زمانه بالغناء بمكة بعد ابن سريج وقيل أنه اعترض الحجاج وهم في حجهم فوقف حيث لا يرى وترنم فما سمع احسن من صوته وتكلم الناس فقالوا طائفة من الجن حجاج ... والقيان جمع قينة وهي الجارية المغنية

(١) البضيع اسم مكان وكور الناقة رحلها والمراد أن الطرب الهاهم عن تذكر القديم

(٢) قيل ان المهدي أنشد الابيات التي منها

قل لمن يلحاك فيها   من فقيه أو نبيل

أنت دعها وارج أخرى   من رحيق السلسبيل

وغني فيها بحضرته فسأل عن قائلها فقيل آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فدعا به فقال له ويلك تزندقت فقال لا والله يا أمير المؤمنين ومتى رأيت قرشياً تزندق والمحنة في هذا اليك ولكن طرب غلبني وشعر طفح على قلبي في حال الحداثة فنطقت به فخلى سبيله . وانما اراد شاعرنا أن يكون ديوانه جامعاً من كل ما تشتهي الانفس

(٣) نفح الطيب اذا فاح وخجلة الورد احمراره وهذا من حسن التعليل

(٤) قرح القلب أي جرح وأسا الجرح داواه

وقل لمن لامني على سفه   ما ضرنا أن نابحاً نبحا

أما ترى الدن قد جرى دمه   كأنه من لحاظك انجرحا

يمج راحاً كأن شعلتها   تحت الدياجي شعاع شمس ضحى

أخف عندي ممن ضنيت به   روحاً وأخفى من الضنا شبحا

وان تر الهم قاتلا فرحي   فانظر لها كيف تبعث الفرحا

الفجر ما كاد ينزوي حزناً   في الأفق حتى رآك فانشرحا [١]

والطير قد كان فوق منبره   عيًا فلما سكبتها صدحا

والفل والياسمين من حسد   كلاهما فوق غصنه انطرحا

تنافسا في الجمال آونة   فحينما لاح وجهك اصطلحا [٢]

وقال فيها

زفت ولما يفترعها المزاج   كما تزف البكر عند الزواج [٣]

فهلل الشرب سروراً بها   وكبر الديك وصاح الدجاج

كأنهم رهبان في بيعة   قد أوقدوا في كل كأس سراج [٤]

كأن حاسيها المريض ارتمى   على سرير يتعاطى العلاج

كأننا إذ نحن صرعى بها   فرسان حرب صرعوا في العجاج

---

(١) انشراح الفجر كناية عن طلوع الصبح وهي كما ترى أرق من الصبا وأندى من الصباح (٢) الآونة الحين من الزمن . وقد قيل ان حسناوين كانتا جارتين فنظرت كلتاهما في المرآة فاعجبها حسنها فتاهت على صاحبتها وتنافستا في ذلك حتي أدت المنافسة بينهما الي العداوة وهما كذلك اذ مرت غانية بارعة الجمال فقالت احداهما للثانية انظري (ياصديقتي) كيف ترين هذا الجمال والقبح يجمع بين الحسان

(٣) افترعت البكر اذا افتضت والمزاج ما تمزج به الراح وهو اذا وقع عليها فكانما افترعها (٤) البيعة معبد النصاري

من كف حوراء غلاميـة　　مفعمة الحجلين خود رجاج [1]

شك فؤادي لحظها وانثنى　　فلم يزل من لحظها في انزعاج

يبصرها من خلف اضلاعه　　كأنما يبصرهـا من زجاج [2]

وقال فيها وهي من اول قوله

هات اسقنيها والدجى ساحب　　ذيل الصبا كالملك الاشوس

واقبس لنا من نارها جذوة　　تثور بالنخوة في الأرؤس

قدشبها الليل لمن يهتدي　　فصبها الفجر لمن يحتسي [3]

كالخد والدمع ولكنها　　ليست من الورد ولا النرجس [4]

(١) الغلامية المتشبهة بالغلام في شمائلها وهـذا وصف تمـدح به النساء كما كانوا يمدحون الغلمان بالتأنيث وهي طريقه (السلف الصالح) من الشعراء الذين أتموا بابي نواس والمفعمة الممتلئة والحجل بالكسر الخلخال والخود المراة الناعمة والرجاج التي ترج اذا مشت　(٢) هذا البيت مما لم يسبق اليه الشاعر ولا أحسن من تشبيه الضلوع التي اضناها الهوى بالزجاج لانه شفاف سريع الكسر وقد قيل ان القلوب تتشاهد فاذا كان تعليل المشاهدة كما هنا كان ذلك غاية في الابداع

(٣) قال الحمدوني الشاعر سمعت دعبل بن علي يقول انا ابن قولي

لاتعجبي يا سلم من رجل　　ضحك المشيب برأسه فبكى

وسمعت أبا تمام يقول انا ابن قولي

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى　　ما الحب الا للحبيب الاول

قال الحمدوني وانا ابن قولي في الطيلسان

طال ترداده الى الرفو حتى　　لو بعثناه وحده لتهـدى

وسمعت انا شاعرنا يقول انا ابن قولي في الراح

قد شبها الليل لمن يهتدي　　فصبها الفجر لمن يحتسى

قال الحمدوني ومعنى قولنا انا ابن قولي أي اني عرفت به

(٤) كالخد لونا والدمع صفاء ولكنها لم تعتصر من الورد الذي يشبه به الخد ولا النرجس الذي تشبه به العيون

وعاطني والروض من حسنه　　يرقص في الاطلس والسندس

وقال فيها

ياغلام ارقب الفجر حتى　　يتجلى فنادني للمدام [1]

بين شمس تدور في كف بدر　　وعيون من الزهور نيام

تترامى بها الصبا عن يميني　　ويساري وتنثني من امامي [2]

وإذا ماشربت خديه فاملأ　　واسقنيها نخده ياغلامي

وأدرها تروني فلو اني　　غير مضنى سكبتها في عظامي

واطرح الهمّ للعواذل حتى　　يقضي الله بيننا بسلام

وقال فيها

تجنى الحبيب فقالوا غضب　　وتاه دلالاً فقالوا اجتنب

(١) قد غلا صاحبنا هذه المرة غلواً بارداً فاحق بالقافية هنا أن تكون (فنادني للصلاة) وافحش من ذلك ما يروى أن هشاماً لمانمي للوليد بن يزيد بن عبد الملك وقد كان ولي العهد بعد هشام وكان هشام هـذا يضايقه لانه كان سكيراً قال والله لأتلقين هذه النعمة بسكرة قبل الظهر ....

(٢) قال المأمون لمن حضر من جلسائه انشدوني بيتاً لملك يدل البيت وان لم يعرف قائله انه شعر ملك فانشده بعضهم قول امرؤ القيس

أمن أجل اعرابية حل اهلها　　جنوب الملا عيناك تبتدران

قال وما في هذا مما يدلك على ملكه قد يجوز أن يقول هذا سوقة من اهل الحضر فكأنه يؤنب نفسه على التعلق باعرابية ثم قال الشعر الذي يدل على أن قائله ملك قول الوليد

اسقني من سلاف ريق سليمى　　واسق هذا النديم كأساً عقاراً

اما ترى الى اشارته في قوله هذا النديم وانها اشارة ملك . اه ولو ان المأمون يسمع هذا البيت لما كان يشك ان كلمة تنثني من امامي كلمة ملك تعود ان يتنحى الناس عن طريقه اين سار هيبة واجلالا .

ألا دعهم ذاك بدر السما   اذا ما اضاء السماء احتجب
وهذي عروس الصبا أقبلت   تزف الينا عجوز الحقب (١)
فقم فاجلها ان بنت الضحى   تخاف اشعة بنت العنب
ولا تأمن الماء يخلو بها   فيولدها من بنات الحبب
وكم غشني حين عاملته   فمز بين فضته (والذهب)
واما دعاني داعي الصبا   ومالت بعطفي ام الطرب
فقل لخطيب الرياض ارتجل   فان خطيب الهوى قد خطب
وللصبح يبدي تباشيره   ويروي الهنا عن امام الادب (٢)

وقال

في غرض يصف القمر

زهته الملاحة حتى سفر   وخلى الدلال لذات الخفر
وبات يسامر اهل الهوى   وقد طاب للعاشقين السمر
يحدثنا عن بني عذرة   ويروي لنا عن جميل خبر (٣)

(١) من اسماء الخمر العجوز وهي تمدح بالقدم قيل ان أول من استخرجها جمشيد ملك الفرس في خبر مشهور وفى التوراة ان نوحا «غرس كرماً وشرب من الخمر فسكر» وفي الخرافات اليونانيه انه ولد (لجوبتير) من (شميله) بنت (قدموس) ملك طيوه اليونانية ولد اسمه (بخوس) وزعموا انه ولد قبل اوانه فادخله جوبتير فى فخذه ليكمل مدة الحمل التي كان يمكثها في بطن أمه وقالوا انه اول من اعتصر النبيذ ولذلك كانوا يقربون له التيوس لان من دأبها اتلاف شجر العنب

(٢) تباشير الصبح أول مايلوح منه وقد انزل الشاعر هذه الكلمات في أحسن منازلها واستعملها في ألطف المعاني واكملها فكانت الطرب اوهي ام الطرب

(٣) بنو عذرة قبيلة مشهورة في العرب بالعشق واليها ينسب الهوي المبرح فيقال هوى عذري قال بعض بني فزاره قلت يوما لعذري اتعدون موتكم في الحب مزية

وليلى وعن حب مجنونها   وعمن وفى للهوى او غدر
ويذكرنا فعلات الردى   بأهل البوادي وأهل الحضر
كحظ السعيد اذا ما ارتقى   وحظ الشقي اذا ما انحدر
أرى كل شيء له آية   وآية هذي الليالي العبر
فيا قمر الافق ماذا الزمان   جيل تخلى وجيل غبر
ويوم يمر ويوم يكر   فآناً نساء وآناً نسر
بربك هل بالدجى لوعة   فان غاب عنه سناك اعتكر (١)
كغانية فارقت صبها   فأرخت عليها حداد الشعر (٢)
اذا ما سهرنا لما نابنا   فما للنجوم وما للسهر
أترثي لمن بات تحت الدجى   يقلب جنبيه حر الضجر
على لوعة يصطلي نارها   وجمر الهوى في حشاه استعر

وهو من ضعف البنية ووهن العقيدة وضيق الرئة فقال اما والله لو رأيتم المحاجر البلج • ترشق بالعيون الدعج • من تحت الحواجب الزج • والشفاه السمر • تبسم عن الثنايا الغر • كأنها شذر الدر • لجعلتموها اللات والعزى • وجميل هو صاحب بثينه المشهور (١) اعتكر الليل اظلم

(٢) المشهور أن الحداد اسود ولكن ذكروا عن اوروبا أن علامة الحداد فيها كانت لبس الاحمر في القرون الوسطى ودام ذلك حتى القرن الخامس عشر حيث كانوا يرتدون الثوب الاحمر ويضعون عليه علامة سوداء • وقبائل (المورس) في زيلانده الجديدة لاتزال حتى اليوم تلبس الاحمر حداداً • وكان بعض الاقدمين يفرطون في اتخاذ اللون الاحمر علامة على الحداد حتى انهم كانوا يصبغون وجوههم بدهان احمر حينما يشيعون جنازات موتاهم • والاعجب من كل ذلك ان البياض كان حداداً في الاندلس وقد قال قائلهم

يقولون البياض لباس حزن   باندلس فقلت من الصواب
ألم ترني لبست بياض شيبي   لاني قد حزنت على شبابي

وقد بسط البدر فوق الثرى ... بساطاً فنام عليه الزهر

الى أن طوته يمين الصبا ... وقد بللته عيون السحر

وباح الصباح باسراره ... فحجبت الشمس وجه القمر [١]

(وقال) يصف الصور المتحركة المعروفة (بالسنوغراف) وهي من أول قوله

كيف فؤادي والهوى شاغل ... يهيجه المنزل والنازل [٢]

مازلت أخفيه وأخفى به ... في الناس حتى فضح العاذل

فمادنا المطل وعدنا له ... رحماك فينا أيها الماطل

كل امرئ أيامه تنقضي ... لا أمل يبقى ولا آمل

وما (السنوغراف) وما مثلت ... الا الصدى ينقله الناقل [٣]

تبعث فيها أمم قد خلت ... وتجتلى في (لندن بابل) [٤]

كم مثلت من طلل ماثل ... فكاد يحيي الطلل الماثل [٥]

كأن فيها للهوى منزلا ... فكل قلب عندها نازل [٦]

تلهو به عطبولة خاذل ... وقد بكت عطبولة خاذل [٧]

---

(١) قال الناظم انه لم يصف القمر في هذه القطعة الا بما يناسب الغرض الذي كان في نفسه يومئذ (٢) ان الابتداء بهذا الغزل سيبأ على انه جاء تمهيداً حسناً للوصف

(٣) توجد آلة أخرى غير السنوغراف ترى بها الصور مجسمة واسمها (الستر سكوب) اخترعها كارلوس هوتستون المولود سنة ١٨٠٢ للميلاد

(٤) لندن عاصمة البلاد الانكليزية وبابل هي البلدة التي ينسب اليها السحر والخمر واختلفوا في حد موضعها ويقال ان اول من سكنها نوح عليه السلام وهو اول من عمرها وقال بعضهم ان الذي بناها هو (بيوراسف) الجبار واشتق اسمها من اسم المشتري لانه بابل باللسان البابلي الاول اسم للمشتري . هكذا قالوا والله اعلم

(٥) الطالل الماثل الذي عفا رسمه (٦) هذا وصف فصل من فصول هذه الصور

(٧) العطبولة المرأة الطويلة الجيد. والخاذل الظبية العاطفة على ولدها

وعانق العاشق معشوقه ... فاجتمع المقتول والقاتل

ياويح نفسي هل رؤى نائم ... أم خطرات ظنها غافل

لاتضحك الجاهل في نفسه ... إلا بكى في نفسه العاقل

مواعظ مثلها هازل ... ورب جد جره الهازل

تزول من بعد الى عبرة ... وكل شيء غيره زائل [١]

كالنفس تنسى الموت في لهوها ... وليس ينسى الاجل العاجل

وهكذا الدنيا انتقاص وما ... يكون فيها فرح كامل [٢]

وقال (في الساعة)

تضرب كالقلب شفه السقم ... كأن فيها الهموم تصطدم

ذات محيا أظل أقرأ من ... خطوطه ما يخطه القلم [٣]

تذكرني ما يمر من عمري ... فكل يوم يجد لي ندم

وليس إما سمت عقاربها ... يدب في غير مهجتي الألم [٤]

ولا إذا عجلت فجائعها ... في غير ضيق القلوب تزدحم

ما إن تراعى لاهلها ذمما ... إن رعيت عند أهلها الذمم

وما أراها سوى الزمان أما ... يدور فيها النعيم والنقم

---

(١) كل شيء غيره اي غير الله تعالى وكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (٢) انتقاص اي منتقص كل ما فيها

(٣) المحيا الوجه وللخطوط التي تكون في وجه الانسان فوائد تعرف من علم الفراسة أما التي في محيا الساعة فهي علامات الدقائق فاذا كان مما خطه القلم الازلي ان يلقى المرء شيئاً في الزمن الذي ينقضي (بين الساعة واحدة والساعة اثنين) مثلا فلا تكاد تنتهي عقارب الساعة الى هذه العلامة حتى يقع ما قدر فكانه قرئ في هذه الخطوط (٤) لا تخفى التورية هنا في العقارب

يا أخت ذات البروج هل حجبت   طوالع السعد هـذه الظلم [١]

وهل تعود الجدود ثانية   من بعد هذا العبوس تبتسم

ما أثبت الهم في الصدور اذا   أمست ليالي الحياة تنهزم [٢]

وقال (في وردة)

وردة هب في الريا   ض على الفجر طيبها

عانقتها الصبا كما   ضم خودا حبيبها

فرمتها من الزهور   عيون تريبها

تركتها من الضحى   في هموم تنوبها

ثم جفت عروقها   وتجافت جنوبها

وشكت في الهجير من   زفرات تذيبها

فدعا روضها الاصيـــل فوافى طبيبها

وشفاها بنسمة   كان طبا هبوبها

ساءلت عن مصابها   فتنادى يجيبها

ليس تخلو مليحة   من عيون تصيبها [٣]

(١) ذات البروج هي السماء ووجه الشبه هنا هي العلامات الأثنتا عشرة والحركات الزمنية العجيبة (٢) قيل ان القدماء كانوا يكتبون هذه العبارة اللاتينية على الساعات رمزاً لانقضاء العمر بمرور الاوقات وهي «كلهن جارحات والاخيرة تقتل»

(٣) انظر يارعاك الله الى الوردة كيف تفتحت في فجر هذا الشعر ثم هبت عليها صبا هذه السلاسة فاعتنقتها ففارت منها الالفاظ التي هي كعيون الزهر فطلعت عليها شمس من البلاغة جفت لها عروقها وتجافت جنوبها ثم زفر عليها حر هذا الكلام فكاد يذيبها ماء كالرضاب فهبت عليها نسمة من تلك الخطرات أنعشتها فأعلمها الشاعر ان المليحة لا تخلو من عيون تصيبها وعادت الوردة في الاصيل كما كانت في الفجر طيباً ونضرة . أليس هذا هو البيان ؟

وقال (في شبان اليوم)

أرى عجباً اذا أبصرت قومي   وما تخلو من العجب الدهور

صعاليك اذا ما ميزوهم   وكل في عشيرته أمير [١]

ومن يك أعوراً او القلب أعمى   فكل الخلق في عينيه عور

فيا لله أي فتى أراه   كما انعطفت بشاربها الخمور

كأن قوامه غصن ولكن   تفتح فوق عروته الزهور

كأن ثيابه شدت عليه   كما لبست من الريش الطيور

فتحسب قده فيهن خصرا   وتحسن في (المشدات) الخصور

كأن الحلي يبرق في يديه   لتكمد من تلألئه النحور

ألا أبقوا الحجاب على الغواني   قد اشتبه الحمائم والصقور [٢]

وقال في حريق ميت غمر [٣]

الا لا تلمه اليوم أن يتألما   فان عيون الحي قد ذرفت دما

(١) لا عجب فان كلمات السيادة الكاذبه التي يخاطب بها «شبان اليوم» من مثل «ياباشا ويابيك» تعمي قلب الاعور فيرى الناس كلهم عوراً ويري نفسه عليهم أميراً وهو صعلوك في نفسه (٢) يريد بالحمائم العذارى والفتيات وبالصقور الشبان وهذا البيت من أحسن ما وجدته في الكناية ولو تقدم به الزمان لكان في صدر الامثال وماذا يقول قاسم بك أمين في هذا البرهان ان كان لا يزال على رأيه من وجوب رفع الحجاب؟

(٣) شبت النار في ميت غمر بعد ظهر الخميس اول يوم من مايو سنة ١٩٠٢ وقدرت الخسائر بأكثر من ٤٠٠ الف جنيه وأصبح نحو ٥٠٠٠ نفس وبضع مئين بلا مأوى وجرت اذ ذاك حوادث عجيبة منها ان رجلا جمع من حطام الدنيا ٣٠٠ جنيه ودفنها فلما شبت النار في منزله وكان غائباً عنه جاء اليه ودفع به حرصه الى حيث دفن خبيئته فوجد بعد ذلك محروقاً وماله في يده . وكان لرجل حمار فخرج يعدو به وقد اصطفت لهما مواكب النار . فكان كأم عمرو لا رجع بعد ذلك ولا رجع الحمار

رأى من صروف الدهر في الناس ما رأى   وعلمه الدهر الاسى فتعلما
ولم يك ممن يملك الهم قلبه   ولكن أتاه الهم من جانب الحمى
هنالك حي كلما عنّ ذكرهم   تقسم من احشائه ما تقسما
بمثلهم في قلبه كل لاعج   وترمي به ذكراهم كل مرتمى
فمن مرسل عينيه يبكي ولو جرت   مدامعه بين الغضا لتضرما [١]
ومن واجد طاو على حسراته   ولو انها في شامخ لتهدما
ومن ذي غنى يشكو الى الله أمره   وقد بات محتاجاً الى الناس معدما
ومن ذات خدر لم تجد غير كفها   نقابا ولم تترك لها النار محتمى
جرت في مآقيها الدموع عفيفة   وقد كشفت للناس كفا ومعصما [٢]
وباتت وبات القوم عنها بمعزل   مناجية ربا أبر وأرحما [٣]
وعذراء زفتها المنون فلم تجد   سوى القبر من صهر اعف واكرما [٤]
فحطت أكف الموت عنها لثامها   وهيهات بعد الموت أن تتلثما
ومن والد بر وأم رحيمة   تنوح على من غاله الموت منهما
نجيمان حتى لاعزاء سوى الرضا   وكان قضاء الله من قبل مبرما
فان رأيا طفلا تجشمت البكا   على طفلها بعد الرضا وتجشما

(١) أرسل عينيه وعصرها اذا بكى والغضا شجر ناره حامية ودموع الحزن تكون حارة ولذلك يقال في الدعاء على الانسان أسخن الله عينه.

(٢) قوله عفيفة احتراس اذ من الجائز ان يكون مجرى دمعها لريبة مثلا

(٣) في البيت القلب بين « ربا وابر » ومثاله قوله تعالى «وربك فكبر»

(٤) قال عبيد بن عبد الله بن طاهر

لكل أبي بنت يرجي بقاؤها   ثلاثة أصهار اذا ذكر الصهر
فبيت يغطيها وبعل يصونها   وقبر يواريها وخيرهما القبر

وان هجعا ارضاهما الوهم في الكرى   وساءهما بعد الكرى ما توهما [١]
ووالدة ثكلى وزوج تأيمت   ومرضعة حسرى وطفل تيتما [٢]
وقوم وراء الليل لا يطرق الكرى   عيونهم ان باتت الناس نوّما
فمن مطرق يروي الثرى بدموعه   كأن الثرى يشكو اليه من الظما
ومن طامح للافق حتى كأنه   على العدم يستجدي من الافق أنجما
حنانيك يا رباه كم بات سيد   يمد يديه يسأل الناس مطعما
وكم من اشم الانف أرغم أنفه   وما كان يوماً يطرق الرأس مرغما
اذا هم بالتسآل أمسك بعدها   حياء فلم يفتح بمسألة فما
وكم من فتى غلت يداه عن العلا   وقد كان مجدول الذراعين ضيغما
أتتهم وراء النار كل فجيعة   تسوق لهم في (ميت غمر) جهنما
اذا عصفت شدت على الناس شدة   فلم تبق بين البائسين منعما
وان زفرت شاب الوليد لهولها   وكان خليقاً ان يشيب ويهرما
يحوم عليها الموت من كل جانب   وقد نظر الارواح أقبلن حوما
فلو كان يستسقى الغمام بمثلها   لاغرقنا من صيب الغيث ما همى [٣]

(١) يريد انهما اذا ناما رأيا اولادهما في الحلم فيسران ثم يستيقظان متحرقين جوى وذكرى ومن عجيب أمر القوة الخيالية ان شاعراً اوروبياً مات له ابن فكان يراه حينما توجه وهو يبتسم له فيجري وراءه حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ونظم في ذلك قطعة باردة ولكن الاعجب من ذلك هذا البيت الذي يروونه للمجنون

أريد لأنسى حبها فكأنما   تمثل لي ليلى بكل سبيل

(٢) الثكلى فاقدة الولد والأيم فاقدة الازواج واليتيم فاقد الوالدين جميعاً

(٣) يشير الى نار الاستسقاء وهي احدى نيران العرب الاربع عشرة وذلك ان العرب كانت اذا ارادت الاستسقاء في سنة الجدب عقدت السلع والعشر وهما ضربان من الشجر في اذناب البقر وبين عراقيبها ثم اطلقوا فيها النار وصعدوا بها الجبال ورفعوا

سلام على تلك الديار وقد غدت … طلولا تناجيها الدموع وأرسما

فكم طلل قد بات يرثي لصحبه … ولو انه اسطاع الكلام تكلما

وكم منزل قد بات قبراً لاهله … وباتوا به جلداً رفاتاً واعظما

سلام على الباكين مما دهاهم … على حين لا تجدي دموع ولا دما

سلام عليهم ان في مصر عصبة … سراعاً الى دفع الردى اين خيما

فكم فرجوا عن كل نفس حزينة … (فما عبس المحزون حتى تبسما)

اصواتهم بالدعاء ليرحمها الله فيمطرهم اما باقي نيرانهم فهي نار المزدلفه توقد حتى يراها من دفع من عرفه وأول من أوقدها قصي بن كلاب ونار التحالف لا يعقدون الحلف الا عليها يطرحون فيها الملح والكبريت فاذا استشاطت قالوا هذه النار قد تهددتك . ونار الغدر كانوا اذا غدر الرجل بجاره أوقدوا له ناراً بمنى ايام الحج ثم صاحوا هذه غدرة فلان . ونار السلامه توقد للقادم من سفره سالماً غانماً . ونار الزائر والمسافر وذلك انهم اذا لم يحبوا الزائر ولا المسافر أن يرجع أوقدوا خلفه ناراً وقالوا ابعده الله واسحقه . ونار الحرب وتسمى نار الاهبة يوقدونها على يفاع اعلاماً لمن بعد منهم . ونار الصيد يوقدونها للظباء لتعشى ابصارها . ونار الاسد يوقدونها اذا خافوه لانه اذ رآها حدق اليها وتأملها ونار السليم توقد للملدوغ اذا سهر والمجروح اذا نزف ومن الكلب الكلب يوقدونها حتى لا يناموا . ونار الفداء كانت ملوكهم اذا سلبوا قبيلة وطلب منها الفداء كرهوا ان يعرضوا النساء نهاراً لئلا يفتضحن . ونار الوسم التي يسمون بها الابل لتعرف أبل الملوك فترد الماء اولا . ونار القرى وهي أعظم نيرانهم . ونار الحرتين وهي النار التي أطفأها الله لخالد بن سنان العبسي احتفروا له بئراً ثم ادخل فيها والناس يرونه ثم اقتحمها وخرج منها وكانت في بلاد عبس تسطع في النهار دخاناً وتكون بالليل ناراً وربما بدر منها عنق فأحرق من مر بها وزيد عليها نار السعالى وهو كل شيء يقع للمتغرب والمتقفر ونار الحباحب وهي كل نار لا اصل لها مثل ما يقتدح من نعال الدواب وغيرها ونار اليراعه وهي طائر صغير اذا طار في الليل حسبته شهاباً وضرب من الفراش اذا طار في الليل حسبته شراراً

الباب الرابع

في الغزل والنسيب [١]

﴿ قال ﴾

عصافير يحسبن القلوب من الحب … فمن لي بها عصفورة لقطت قلبي [٢]

وطارت فلما خافت العين فوتها … أذالت لها حباً من اللؤلؤ الرطب

فياليتني طير أجاور عشها … فيوحشها بعدي ويؤنسها قربي

وياليتها قد عششت في جوانبي … تغرد في جنب وتمرح في جنب

ألا يا عصافير الربى قد عشقتها … فهبي أعلمك الهوى والبكا هبي

أعلمك النوح الذي لو سمعته … رثيت لاهل الحب من شغف الحب

خذي في جناحيك الهوى من جوانحي … وروحي بروحي للتي أخذت لبي

نظرت اليها نظرة فتوجعت … وثنيت بالاخرى فدارت رحى الحرب

---

(١) النسيب ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف احوال الهوى بالصب معهن وقد يذهب على قوم موضع الفرق بين النسيب والغزل والفرق بينهما ان الغزل هو المعنى الذي اذا اعتقده الانسان في الصبوة الى النساء ينسب بهن من أجله فكأن النسيب ذكر الغزل والغزل المعنى نفسه . والغزل انما هو التصابي والاستهتار بمودات الحسان ويقال في الانسان انه غزل اذا كان متشكلا بالصورة التي تجانس موافقات النساء لحاجته بالوجه الذي يجذبهن الى ان يملن اليه .

(٢) مما يحسن ذكره انه كان لاحد بني المنجم جارية صفراء مولدة فبلغ به الوجد بها الى ان مرض ونحل فدخل عليه الطبيب فجسه وقال هذا الفتى قد أحرقته الصفراء « يريد احدى الطبائع الاربع » فقال العليل أصبت وأحسنت من حيث لا تشعر

فمن لحظة يرمى بها حد لحظة ... كما التحم السيفان عضباً على عضب

ومن نظرة ترتد من وجه نظرة ... كما انقلب الرمحان كعباً الى كعب

فساقت لعيني عينها أي أسهم ... قذفن بقلبي كل هول من الرعب

وساق لسمعي صدرها كل زفرة ... أقرت بصدري كل شيء من الكرب

ودارت بي الالحاظ من كل جانب ... فمنهن في سلبي ومنهن في نهبي

فقلت خدعتنا انها الحرب خدعة ... وهون خطبي أن أسر الهوى خطبي

فقالت اذا لم تنج نفس من الردى ... فحسبك ان تهوى فقلت لها حسبي

ولي العذر إما لامني فيك لائم ... فاكبر ذنبي ان حبك من ذنبي

ويا من سمعتم بالهوى انما الهوى ... دم ودم هذاك يصبو وذا يصبي [١]

متى ائتلفا ذلا ودلا تعاشقا ... والا فما في رونق الحسن ما يسبي

سلوني أنبئكم فلم يدر ما الهوى ... سواي ولا في الناس مثلي من صب

اذا شعراء الصيد عدوا فانني ... لشاعر هذا الحسن في العجم والعرب [٢]

وان أنا ناجيت القلوب تمايلت ... بها نسمات الشعر قلباً على قلب

وبي من اذا شاءت وصفت جمالها ... فوالله لا يبقى فؤاد بلا حب

من الغيد اما دلها فملاحة ... وأما عذابي فهو من ريقها العذب

ولم يبق منها عجبها غير خطرة ... ولا هي ابقت للحسان من العجب [٣]

عرضت لها بين التذلل والرضا ... وقد وقفت بين التدلل والعتب

(١) حدثنا الناظم ذات مرة قال · ليس العشق ما يظنونه من مليح يستحسن أو حسن يستملح ولكنه دم يتحرك دلالا ودم يتحرك غراماً وهذا آخر رأيه فيه ومن أجله قدمنا هذه القصيدة (٢) لا بد ان يلقب صاحبنا بعد اليوم بشاعر الحسن ولكن هل من فاتنة تصدر امرها بذلك ٠٠؟ (٣) يريد انها دائماً تمايل من العجب حتى لا يرى الانسان منها الا خطرات

وأبصرت أمثال الدمى يكتنفنها ... فقلت أهذي الشهب أم شبه الشهب [١]

فما زال يهدي ناظري نور وجهها ... كما نظر الملاح في نجمة القطب [٢]

وقد رحن أسراباً وخفت وشاتها ... فعيني في سرب وقلبي في سرب

وقالت تجلد قلت يا مي سائلي ... عن الحزن يعقوبا ويوسف في الجب [٣]

وما إن ارى الاحباب الا ودائعاً ... ترد فاما بالرضاء أو الغصب

وقال

ووصف فيها القطار

جارتي هل رأيت مثلي جارا ... كلما جنه الظلام استجارا

ينثني مرة على الكبد الحرّا ... ويبكي على الفؤاد مرارا

فأعيني على الاسى اليوم وارعي ... بيننا الود والهوى والجوارا

كيف تأين والقلوب بكفيـ ... ـك ولما تفك هذى الاسارى

كل يوم تبلو العذاب جديدا ... وهي ليست تحب الا اضطرارا

واذا ما عذبت ذى العين بالما ... ء فكيف استحق ذا القلب نارا [٤]

(١) الدمى جمع دمية بالضم وهي تصاوير العاج يشبه بها النساء لحسنها ونقائها ويكتنفنها أي حافات حولها

(٢) هي نجمة معروفة عند الملاحين توجد دائماً جهة الشمال وهي آخر نجمة من ذنب الدب الاصغر فاذا ضلوا في البحر اهتدوا بها الى الجهة التي يقصدونها والنكتة هنا في « الناظر » لانه غريق في العيون ضال في بحر الجفون

(٣) شبه ظلمة النوى بالجب وكانها يوسف وقد ألقيت فيه وكانه يعقوب وقد حزن عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم

(٤) لست متضلعاً من القانون فاشرح هذه المسألة وأبين وجه الظلم فيها فان الطرف والقلب شريكان في جناية الهوي ولا ندري لماذا عذبت العين بالماء والقلب بالنار ٠٠٠٠

أمهليني أذر المدامع حينا   ان في أعيني دموعا غزارا

وبنفسي على الحبيبة عتب   مثل هز النسائم الازهارا

ليتها حينما تجنت ولا ذنـ   ـب جنيناه تقبل الاعذارا

كيف هام القطار حين رآها   أترى حسنها استهام القطارا

ليس في قلبه سوى الشوق لكن   كتم الدمع فاستحال بخارا (١)

واذا صاح صيحة البين فينا   ترك العاشقين طرا حيارى

ساريطوي جوانب الارض طيا   ولو اسطاع أن يطير لطارا

كزمان الصبا ونومي اذا نمـ   ـت وطيف الحبيب ليلة زارا (٢)

أو كمعنى يمر بالفكر لا ينقا   دأو مثل خاطري لا يجارى

وكأن البلاد أرسلن منه   مثلا راح بينها سيارا

ياشبيه الدجى اذا غابت الشمـ   ـس انطلق سالماً وقيت العثارا (٣)

لودرى الافق انها فيك ما أطـ   ـلع شمس الضحى لئلا تغارا

سوف تأسى كما أسيت اذا ما   آنست أهلها وتلك الديارا

وسرور الفتى غرور اذا كا   ن يرى ما يسره مستعارا

ليت شعري أنافعي اليوم أني   لا أرى كالذي ترى اشعارا

تحسب الناس أن تلوها سكارى   قد حسوها وما هم بسكارى

---

(١) من كان يقول من الشعراء مثل هذا فحسبه والا فالصمت زين والسكوت سلامه (٢) زمان الصبا ونوم العاشق وطيف المعشوق كلها لحظات ولذلك شبه بها القطار في سرعته على ان المقام يقتضي هذا التشبيه

(٣) ان يكن في الحشو نوع لا يحسن الشعر الا به فمثل قوله « اذا غابت الشمس » وقد كان ابن حجة يسمي مثل هذا الحشو حشو اللوزينج وهو الطعام المعروف « لمن يأكله »

واذا ما انشدتها الفجر يوما   سحر الفجر حسنها فاستطارا (١)

ورأيت النجوم غارت حياءا   وسمعت الهزار يشجي الهزارا

إن عدمنا في الناس من يسعد النـ   ـاس فانا لم نعدم الاطيارا

ياليالي الفراق كوني طوالا   داجيات أو مشرقات قصارا

مالمن فارق الحبيب جفون   تعرف الليل بعده والنهارا

والذي يعشق الحسان اذا سر   ته دهرا أسانه أدهارا

كيف تقضي الاوطار نفسي من العز   على أن للهوى أوطارا

والاماني يسعى لها الناس لكن   قصر الحظ دونها الاعمارا (٢)

وقال

أرى في ذلك الثغر   طلا وشفاهك الكاس (٣)

فان جدت شفيت وان   بخلت امضني الياس (٤)

وأحلى الحب ما كان   ولم يعلم به الناس

وقال

ووصف فيها القطار أيضاً

أترى زمانك بالحمى سيعاد   أم طول دهر كما نوى وبعاد

---

(١) يقال استطار الصباح اذا انتشر ضوءه واستطار الرجل بالكلمة اذا طرب لها طرباً استخف وقاره وان من البيان لسحراً

(٢) جاء بعض الاعراب الى الاصمعي وهو في مجلسه فاستنشده فانشده شيئاً من شعر الفحول فاستخف به ثم أنشد الاعرابي لنفسه فقال الاصمعي لاصحابه اكتبوه ولو بأطراف المدى في رقاق الاكباد أما نحن فنقول انه من حق هذه القصيدة ان تكتب ولو بجمرات الرصاص على ألواح الصدور . (٣) الطلاء بالكسر الخمر وهو مقصور هنا ضرورة (٤) مضه وأمضه بلغ من قلبه الحزن به

سارت فما لبث الفؤاد كأنما ... بين الفؤاد وبينها ميعاد

ودرت عيوني بعدها كيف البكا ... ودرى بعيني بعدها التسهاد [١]

وحسدت واشيها اذا استمعت له ... فعرفت كيف توجع الحساد

لله اي مدامع من بعدها ... تجري وأية لوعة تنقاد

كدنا نجن وقد تأهب اهلها ... وجننت لما ودعوا أو كادوا

لو انهم زموا النياق لسلمت ... عين وودع جانبيه فؤاد

لكن جرى بالبين فيما بيننا ... (برق) له في مره ارعاد

يتخطف الارواح والاجساد ان ... عرضت له الارواح والاجساد

ويفرق الشمل الجميع فان دها ... لم يمهل الاحباب ان يتنادوا

متضرم الاحشاء لا من لوعة ... لكنما استعرت به الأكباد

كالقصر فيه لكل خود حجرة ... ولكل صب مضجع ووساد

وكأنه اذ أشرقت منه المهى ... فلك تحفف حوله الارصاد [٢]

وكأن أبراج السما حجراتها ... في كل برج كوكب وقاد

لو لم يكن للبين فيه علامة ... ما كان فيه من الغراب سواد [٢]

---

(١) هذا هو الالتفات على ما عرفه بعضهم . فانه ابتدأ يخاطب شخصاً جرده من نفسه ثم التفت بعد ذلك فتكلم عنها واستعمل ضمائر المتكلم

(٢) هـذا وصف « المفتخر » بعينه حينما تفتح نوافذه و تطل منها اوجه الحسان المسافرات ما بين مصر والاسكندرية . . .

(٣) من خرافات الرومان ما رواه « أوفيد » عن سبب اسوداد الغراب قال كان المعبود ابلون يعشق كورونس وكان الغراب صديقه وسميره وهو ابيض كالثلج فوقف الغراب ذات يوم على ان كورونس تهوى غير عشيقها فسعى بها اليه فاستفزت الغيرة ابلون فرشقها بسهم اثبته في فؤادها ثم ندم فعالجها فما اغنى شيئاً فعاد الى الغراب النمام وحوله اسود ولذلك قبل النميمة تسود العرض . وكان اهالي الجنوب يتطيرون

يا سعد هذا عصرنا فدع النيا ... ق يشفها الأتهام والانجاد [١]

واهجر حديث الرقمتين واهله ... بادت ليالي الرقمتين وبادروا

واذكر احبتنا الذين ترحلوا ... ولو انهم رحموا القلوب لعادوا

اني اراهم كلما طلعت ذكا ... أو مال غصن البانة المياد

أو لاح لي قمر السما أو اتلعت ... بين الرياض من الظبا الاجياد

ولقد رأيت لحاظهم مسلولة ... يوم انتضت اسيافها الاجياد

تلك السيوف وماسواء في الهوى ... ما تحمل الظبيات والآساد

أتراهم ذكروا هواي وقد جفا ... ذات الجناح على الغصون رقاد

فبكت على شجن ورجعت البكا ... وتمايلت جزعا لها الاعواد

أم يذكرون هواي ان قيل انقضى ... أجل المريض وخفت العواد

بخلوا وجدت كأنما خلق الهوى ... من عاشقين بخيلة وجواد

قف بي على القصر الذي ودعنه ... وعليه من ظلم الفراق حداد

واسأله هل لهم اليه مرجع ... ولذلك الزمن القديم معاد

فعسى يجيبك انني أرعى له ... عهد الوداد وللقصور وداد

به ويستدلون بطيرانه على ما خبئ لهم في الغيب من الرزايا وذلك من عهد اليونان والرومان قبل ان يعرف شيء عن العرب وطيرتهم . ومن الفكاهة ماحكاه الخليل ابن سعيد قال مررت بسوق الطير فاذا الناس قد اجتمعوا يركب بعضهم بعضاً فاطلعت فاذا ابو السائب المخزومي قائم على غراب يباع وقد اخذ بطرف ردائه وهو يقول للغراب يقول لك قيس بن ذريح

الا ياغراب البين قد طرت بالذي ... احاذر من لبنى فهل انت واقع

لم لا تقع ويضربه بردائه والغراب يصيح فقال له قائل أصلحك الله ليس هذا ذاك الغراب قال قد علمت ولكن آخذ البريء حتى يقع الجريء

(١) الاتهام والانجاد المسير الى تهامة والى نجد ويراد بهما الارتفاع والانخفاض

ولعله يحكي تنهدها فقد ... يحكي الجماد الصوت وهو جماد [1]

وقال

قمر أطلعت أخاه السماء ... وغزال ما شابهته الظباء
ان رنا يفضح النساء وان قيـ ... ـل تأبى تغار منه النساء
يدعي البان قده وتثنيـ ... ـه وما البان والقدود سواء
ويرى الورد انه مثل خديـ ... ـه وتأبى خدوده الحمراء
هل سبيل الى لقاه وان لم ... يشف مابي من الغرام اللقاء
فأناجيه مثلما غرد الطيـ ... ـر وناجت أليفها الورقاء
يامليك الهوى اتق الله في النا ... س فقد قطع القلوب الجفاء
ان تكن راعي المحاسن فينا ... فأنا من رعيتي الشعراء

وقال

ياطير ما للنوم قد طارا ... وما قضينا منه أوطارا
كأن هذا السهد لا يأتلي ... يطلب من أجفاننا ثارا [2]
ان كنت ظمآن فذي أدمعي ... تفجرت في الارض أنهارا
أو كنت ذامسغبة فالتقط ... حبة قلبي كيفما صارا [2]
أو كنت مشتاقا فكن مثلنا ... على الهوى ياطير صبارا
وجارني ان كنت لي صاحبا ... فان خير الصحب من جارى
ياطير كم في الحب من ساعة ... يزيد فيها العمر أعمارا

(١) يريد بالجماد (الفونوغراف) وهو حاكي الاصوات والمعنى الذي يريده ان القصر يرعى له الوداد وانها تحبه ولذلك تتنهد ساعة الخروج فيحفظ القصر هذا الصوت ليتحفه به اذاجاءه مسلماً (٢) لا يأتلي اي لايزال (٣) المسغبة الجوع

ان قلت تلهيني بها فكرة ... جرت على الافكار أفكارا
أو قلت أنساها أقام الهوى ... من حرها في القلب تذكارا
والصب ما ينفك في حيرة ... تزيده حزنا وأكدارا
مالي أرى الاطيار نواحة ... كأنما فارقن أطيارا
وما لاغصان الربى تلتقي ... كأنما يبثثن اسرارا
فاسأل نسيم الصبح ان مر بي ... هل حملته الغيد أخبارا
وسل عن الدار ويا ليتني ... أزور يوما هذه الدارا
كأنها الجنة لكنني ... أبطنت من وجدي بها النارا
سماؤها مطلعة أنجما ... وأرضها تطلع أقمارا
وكم بها من أكحل ان رنا ... سلت لك الاجفان بتارا [1]
وان مشى يخطر في تيهه ... هزت لك الاعطاف خطارا
لا انكر السحر وذا طرفه ... اصبح بين الناس سحارا
يافاتن الصب على رغمه ... والمرء لا يعشق مختارا [2]
طورابنا هجر وطورا نوى ... أهكذا نخلق أطوارا [3]
لو شبهوا بدر السما درهما ... لشبهوا وجهك دينارا [4]

(١) الاكحل ذو الاجفان الكحيلة (٢) مسألة فيها نظر ولا يسع المقام تحقيقها (٣) قال تعالى « ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم اطوارا » اي احوالا من النطفة الى العلقة الى المضغة الخ ولكن الشاعر حول المعنى مع مراعاة الادب فقال (أهكذا) وانما يكون منتقداً اذا قال (وهكذا) مثلا (٤) تشبيه الوجوه بالدنانير كثير في الشعر العربي ويمكن ان يكون وجه الشبه ما نظر اليه ابو العباس الاعمى في قوله مادحاً

في حلوم اذا الحلوم اسفزت ... ووجوه مثل الدنانير ملس

على انا لم نجد في كل ما قرأناه من ذلك كهذا البيت فقد راعى النظير في كل من المشبه والمشبه به فذكر الدرهم والدينار والوجه والبدر وهذا من بدائع الاتفاق

وكم درار فيك نظمتها   تجل أن تحسب أشعارا
لو أن بشارا حكى مثلها   أعطوا لواء الشعر بشارا [1]

وقال (في غادة رآها والشمس في الطفل)

لاحت لنا والشمس من غيظها   قد ضرجت أثوابها بالدم
فاتنة من بخلها لم تزل   وجنتها معصورة في الفم
فما أراها راهب راهبا   الا شكا المغرم للمغرم

وقال (في مليح غربي)

بأبي أنت ياغزال وروحي   وفؤادي ونور عيني وعيني
أنت كالبدر حين يطلع لكن   في سواد القلوب والمقلتين
لو رآك الذين قالوا ثلاث   بعد وهن لثلثوا القمرين [2]
خفق الحلي فوق صدرك والقلـ   ـب فهل أنت مالك الخافقين
وأرى السحر في العيون فهل جئـ   ـت بها (بابلا) الى الساحرين [3]
وبخديك جنتان ولكن   في فؤادي لظى من الجنتين
ياقضاة الغرام في أي شرع   أن يحولوا بين الحبيب وبيني
في يديكم غريم ظبي من الغر   ب سبى المشرقين والمغربين

---

(١) بشار هو ابن برد الشاعر الشهير وكان اعمى · زعم انه أشعر الشعراء لانه قال اثنى عشر الف قصيدة لا تخلو واحدة منها من بيت نادر فيكون النادر من شعره اثنى عشر الف بيت وهو ما لا يوجد لغيره · وسمي ابا المحدثين لانه فتق لهم اكمام المعاني ونهج لهم سبيل البديع فاتبعوه وكان ابن الرومي يقدمه ويزعم انه اشعر من تقدم وتأخر (٢) الوهن والموهن نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه ويريد بالذين قالوا ثلاث من يعتقدون ان الاله ثلاثة آلهة وما من اله الا الله

(٣) الساحران هما هاروت وماروت وقصتهما معروفة

فاتقوا الله في قتيل حبيب   (حسن) طل دمه (كالحسين) [1]

وقال

سهرت والليل أمسى للورى سكنا   فمن يدل على اجفاني الوسنا
أرعى كواكبها حتى اذا أفلت   ألقيت للطير في تحنانها الأذنا
واسأل الحب عن روحي وعن بدني   فلا أرى لي لا روحا ولا بدنا
وما نظرت لاعضائي وقد بليت   الا حسبت ثيابي فوقها كفنا
يامن يعز على نفسي تدلله   كم ذا أكابد فيك الذل والوهنا
دروا بما بي ولولا الدمع كان دما   لما تظنوه الا عارضاً هتنا [2]
ورب ذي سفه قد هب يعذلني   فقال أنت الفتى المضنى فقلت أنا
وهل أخاف على سر الهوى أحداً   وقد خلقت على الاسرار مؤتمنا
فدع غرامك يطويني وينشرني   ودع عذولي يطوي جنبه الضغنا [3]
من كان مثلي لم يحفل بمثلهم   ومن احب استلان المركب الخشنا
كأنما الحسن امسى فيك مجتمعاً   فأينما نظرت عيني رأت حسنا
وان تكن فتنة للعاشقين فما   يزال أمر الهوى ما بيننا فتنا
فاسأل محياك كم اخجلت من قمر   وسل قوامك ذا المياس كم غصنا
وكم يبيعك اهل العشق افئدة   وانت لاعوضاً تعطي ولا ثمنا [4]
فيم اقتصاصك من قلبي تعذبني   وما جنيت ولا قلبي عليك جنى
اما كفاني ما القاه من زمني   حتى اغالب فيك الشوق والزمنا

---

(١) قتل الحسين عليه السلام صبراً وظلماً (٢) العارض المتهن السحاب الممطر وتظنوه وظنوه بمعنى يريد ان دمعه لو لم يكن ممتزجاً بالدم لظن الوشاة ان السماء قد امطرت ولم يحسبوه يبكي (٣) الضغن الحقد والحسد

(٤) هذا والله هو فقه الهوى فما البيع الا بثمن او عوض

اني واياك كالمنفي عن وطن … اي البلاد راى لم ينسه الوطنا (١)

وما اطاف بقلبي في الهوى امل … الا بعثت عليه الهم والحزنا

ليهنك اليوم اني ممسك كبدي … وانها قطع تجري هنا وهنا

وفي الجوانح شيء لست اعرفه … لكن اهل الهوى يدعونه شجنا

يبيت ينبض قلبي من تقلبه … حتى اذا ذكروا من هاجه سكنا (٢)

فهل رثيت لمن لو بث لوعته … مع الصباح لابكى الطير والفننا

وهل تملنا يوماً بموعدة … وان تكن لاتني سراً ولا علنا

او ان نفسي على كفيك لانحدرت … ولو دفنت لما باليت من دفنا (٣)

وذو الشقاوة مقرون بشقوته … انى تقلب جرت خلفه المحنا

وقال

وهي من فنون الجنون

خداك ياذات العيو … ن الفاترات النعس

كالورد الا انه … يحميه لحظ النرجس

واما وقدك وهو من … تلك الغصون الميس

وشفاهك الحمراء والخمـــر التي لم أحتس

اني اذا رقص القوا … م ومال تحت السندس

(١) المنفي عن الوطن المبعد عنه وهذا المعنى من مبتكرات شاعرنا ولا يزال الباب مفتوحاً الى يوم القيامة

(١) نبض القلب خفق وهاجه وهيجه بمعنى واحد ولا يقال أهاجه

(٢) يريدان نفسه لو كانت على كف هذا الحبيب لرماها وتركه يموت وانه لو مات في حبه ودفن لبقي الهجر كما كان حياً وهجر الميت ترك زيارة قبره وتناسيه . وهذا غاية في الاعراض

ونظرت ثغرك ضاحكا … وبقيت لي لم تعبسي

وسقيتني راح الهوى … من غير تلك الاكؤس

لأرى الكواكب خادما … تي كالجواري الكنس

وأظنني بـين الملو … ك مليك كل الانفس

وارى بحبك كل اذ … س حاضرا في مجلسي

وقال (وهما من اول قوله)

قالت سألت الوردعن وجنتي … يوما ووجناتي عن الورد

فقال لي خـدي انا وردة … ثم انتمى الورد الى خدي

وقال في مثله

اهديت ذا الحسن وردا … وقلت (مني اليكا)

فقال ياشبه خـدي … خدي يغار عليكا

وقال

هذا الدجى والهم في صدري … كالفحم زاد توهج الجمر

وكأن انفاسي بها شعل … طفئت من الاجواء في بحر (١)

وكأن احزاني بها شرر … زحم الكواكب فهي لاتسري

ياليل قطعت القلوب أسى … فابعث لها بنسائم الفجر

حتى م تطويني وتنشرني … خلق الردا بالطي والنشر (٢)

ماطال عمرك ياد جى ابدا … الا ليقصر دونه عمري

فاذا قضيت وانت ذونفس … فاخبأ صباحك لي الى الحشر

واذا دجا ليل الحياة فدع … يا ليل مصباحا على قبري

(١) الاجواء جمع جو (٢) خلق الثوب كنصر خلوقة وخلقا محركة بلي

انا والسما خصمان في قمر | من حين اخجل بدرها بدري
حجبوه في ظلم كما سدلت | ذات الدلال غدائر الشعر
يابدر لاتكمد وفيك ضني | لك اسوة بالجفن والخصر
واذا احتجبت ففي الحجاب هوى | وجمال ذات الخدر في الخدر
هل كنت شاهدنا ونحن كما | قرن الضمير السر بالسر
إلفان منطلقان في جذل | وهما من الاشواق في الاسر
هذا لذاك هوى وذاك بدا | صب لكاسي الخمر والخمر
ثغرا على ثغر واحسن ما | تجد الهوى ثغرا على ثغر
يابدر كانت ليلة ومضت | وقع العصافير على الغدر (١)
بتنا ومن شفة على شفة | حينا ومن نحر على نحر
اشكو ولاشكوى ويعذرني | بالحب والحب من العذر
مثل الحمام تباكيا وهوى | إما التقى إلا لفان في وكر
هيهات ارسل بعدها املا | ضاع الرشاء اليوم في البئر (٢)
يامن شفا عين الزمان وما | بصر الهوى إلا عمى الدهر
هبني كتابا انت مالكه | واقرأ ولو حرفين من صدري (٣)
وعلام تهملني وانت ترى | واو الهجا حسبت على عمرو(و)
ان الذين هجرتهم خلقوا | كالنحل لا تحيي بلا زهر
فلئن تكن قد سؤتني زمناً | فالحب ذو يسر وذو عسر
يرجى الغنى للفقر وهو شقا | أفليس يرجى الوصل للهجر

(١) الغدر جمع غدير (٢) الرشاء حبل الدلو شبه به الامل
(٣) ان الكتاب متى قرئ عنوانه عرف موضوعه ...

ان تبتعد تقرب الى أملي | والدهر منعكس بما يجري
واذا قسوت تزيدني طمعاً | كم يخرج الماء من الصخر
وبأضلعي قلب أعلله | بالوعد أحيانا وبالصبر
من كان يجني الحلو من ثمر | وأمر فليصبر على المر (١)

وقال (في فلسفة الحب)

لاتلم ذا الهوى على ان يبوحا | هكذا العطر دأبه أن يفوحا
كيف تخفى بين العواذل نار | ساورتها الرياح ريحا فريحا
وسقام الهوى يلوح على العا | شق مهما أراد أن لايلوحا
غلب الشوق أهله فترى القو | م طريحا قضى ونضوا طريحا
وكأن الغرام حين شرى الانـ | فس ألفى الكرام أرخص روحا
ياأخا الحب ما أرى الحب الا | نظرا جارحا وقلبا جريحا
ثم من عاش بعد ذاك فقد عا | ش ليبكي مما به أو ينوحا
وترى الطير ربما قام يسعى | لحظة بعد أن تراه ذبيحا
ليس هذا الهوى سوى سكرة المو | ت فهيء للعاشقين الضريحا
يطمع النفس في الجمال فاما | طمعت ألفت الجمال شحيحا
وهو بين العيون والقلب وحي | كلما جالت اللواحظ يوحى
آه ما أوجع الغرام وما أعـ | جب جسما على الغرام صحيحا
لم أكد أعرف الصبابة حتى | برحت بي همومها تبريحا
وألفت العناء حتى من الرا | حة عندي ان لا أرى مستريحا
واذا ضاقت الحياة بنفس | وجدت وادي الممات فسيحا

(١) أمر الثمر ومر صار مراً

وقال

رأته عيني فوق كرسيه   كالشمس او أبهى من الشمس
مثل سليمان على عرشه   يحكم بين الجن والانس
فقال لي العاذل آمنت ما   أجحد فيه (آية الكرسي) (١)

وقال

ذات ملك طغت بها عزة المل   ك فلم ترع في هواها العبيدا
ظلمتهم وجاهدوا علم الل   ـه فمن مات راح فيها شهيدا
هي غصن الرياض والزهر والور   د قواما ونفحة وخدودا
وهي شمس السماء والظبية الغيـ   ـداء وجها ومقلتين وجيدا
ولها النهي في الهوى ولها الامـ   ـر وما كان موعدا ووعيدا
ليس في الحب ان تشاء ولا في   قدر الحب والقضا ان تريدا
انه في الرقاب مسكنة الدهـ   ـر كما طوق الهوان اليهودا (٢)

وقال

حطي نقابك لحظة   فالحسن أجمع في نقابك
ظمأ الفؤاد الى رضا   ك ظما الشفاه الى رضابك

وقال

غرامك لا يبقى على نفس انسان   فسله لماذا غال قلبي وابقاني

(٢) اذا جحد آية الكرسي وهي الآية القرآنيه كفر واذا جحد حسنه قيل له انك جحدت (اية الكرسي) وبمثل هذه الحجة يفحم العذال

(٢) قال الله تعالى في اليهود « وضربت عليهم الذلة والمسكنة » ولا يزالون كذلك الي اليوم ولم نر هذا المعنى لغيره

أفي كل يوم لي من الحب حسرة   وحزن وقد ضاق الفضاء باحزاني
وها أنا ذا بين الصبابة والصبا   تجاذبني الاولى فيدفعني الثاني
ولم يبق من جسمي الهوى غير ذرة   كما أبقت الكاسات من عقل نشوان
أكاد لذاك الحي إن مرت الصبا   أطير وان لم يحتملني جناحان
وتنظر هذي الشمس عيني كأنها   وقد أذكرتني حسن وجهك شمسان
هم عبدوها في الجمال ضلالة   ويمنعني من مثل ذلك إيماني
على أنهم ذلوا لسلطان حسنها   وحسنك سلطان على كل سلطان
وقالوا حكيت الظبي جيداً ولفتة   وأشبهت غصن البان في هيف البان
وأقسم ما الغزلان في لفتاتها   ولا هيف الاغصان الا الشبيهان
لك الحسن من كل الحسان وللذي   يحبك في أشعاره كل احسان
وأنت الذي قربت من جسمي الضنا   وأنت الذي باعدت ما بين أجفاني
فان قيل عني انه مات عاشقاً   فقل لهم ما رحمة الميت من شاني
اذا كنت لا ترثي وفيّ بقية   فكيف اذا ما أدرجوني باكفاني
وان يقرأ العذال ما أنا كاتم   فقد خط في خدي بالدمع سطران
ولو شئت لم يدروا بما دار بيننا   ولو أن حسادي عليك من الجان
أبى الدهر أن يلقى أخو الحب صاحباً   من الانس الا دونه ألف شيطان
فياليت أن الافق تهوى نجومه   على كل واش بالمحبين خوان
وياليت نيران الجحيم تزيدهم   قلوباً تلظى حسرة فوق نيران
وياليت أن الارض دكت جبالها   فكم فيهم من مثل رضوى وثهلان (١)

(١) رضوى وثهلان جبلان عظيمان وقد ثبت انه لولا الجبال لاقتضى ثقل الارض ان تميد كما قال تعالى « والقى في الارض رواسي ان تميد بكم » فتمنى الشاعر ان

وما كنت أدري قبلهم أن في الورى ... من الناس أقواماً على شكل أوثان

فيامن لحاني في الصبابة ماترى ... ملامك هـذا بالصبابة اغراني

وبي رشاء لم يبق مني دلاله ... سوى ماتراه من هموم واشجان

تعشقته ظمآن للحب فارتوى ... فؤادي ولكن ردني جد ظمآن

وأضحكني دهري زماناً بقربه ... ولكنه من بعد ذلك ابكاني

ولن تجد الدنيا سوى ماوجدتها ... ولا سائر الازمان الا كازماني

وياجيرتي والنفس جمٌّ عناؤها ... ألا عاشق عان لذا العاشق العاني

رأيت فؤادي مطبقاً جفنه الاسى ... كما اكتحلت بالنوم أجفان وسنان

وقدكان لي كأس لدى مجلس الهوى ... إذ الحب راحي والحبائب ريحاني

وفي الحب سلوان ولكنني أرى ... تأسي ذي الحاجات ليس بسلوان

وهذا الهوى تاج على كل عاشق ... فما شرف الاملاك من غير تيجان

وقال

يا قوام الغصن منثنياً ... ومثال الحسن والظرف

انت (والطربوش) منحرف ... كهلال الافق في النصف

فاتق الخالق في قوم ... عبـدوا الله على حرف (١)

تنسف هذه الجبال لان ثقل عذاله يكفي وسيأتي انه يشبه ظلهم الذي يقع على الارض بالصخر فكيف بهم

(١) حدث ابو عمر الزاهد قال دلك بعض الزهاد المرائين جبهته بثوم وعصبها ونام ليصبح بها كأثر السجود فانحرفت العصابة الى صدغه فأخذ الأثر هناك فقال له ابنه ما هذا يا ابت فقال اصبح ابوك ممن يعبد الله على حرف ومعنى العبادة على حرف أي على وجه واحد وهو ان يعبده على السراء لا الضراء أو على شك أو على غير طمأنينة على أمره والنكتة في البيت ظاهرة

وقال (في مليح تكاد وجنته تتقد)

لاتلوموا اذا تعذبت فيه ... وقضيت الحياة وجداً عليه

ففؤادي وان اطال عذابي ... ليس يلقي النعيم الا لديه

وجهه جنة العيون وان كا ... ن تلظى السعير في وجنتيه

وقال

سائلوه متى يفيق الذي جن ... وهل اصبحت تباع العقول

واذكروا انني سلوت عن السلـ ... ـوان فالصبر في الهوى مستحيل

اعشق الحب والحبيب لاني ... في هوى الحب والحبيب قتيل

نضب الدمع بعدما كان ينسا ... ب كما فاض في البلاد النيل

فرعى الله من تصدق بالدمـ ... ـع على اعين كواها الهمول

أيها العاذل ابغني كبداً لم ... تتقصف بجانبيها النصول

واستعرلي عمراً طويلا فاني ... أجد العمر في الهوى لايطول

وأعني على العزاء فقلبي ... ثاكل واصطباره مشكول

أتراني أعيش والحب في النا ... س دليل وراءه عذريل

أم تراني ألذ عيشي وفي المو ... ت من العيش للحزين بديل

يأمل الناس في الحياة نعيما ... وقليل من سره المأمول

والاماني على رقاب الليالي ... صارم في يد الردى مسلول

كم تريني مصارع الاولى قتل الوجـ ... ـد ومن أهلكته تلك السبيل

أنا منهم فذر اخاك ضجيعاً ... كيف يأسي على أخيك عذول

لاتعب ماترى به من نحول ... زينة العاشقين هـذا النحول

واعذر الصب ما بقيت خلي الـ ... ـقلب فالصب قلبه متبول

أنا من ترتمي الحسان عليه ... ان رأته جميلة أو او جميل

وأقل الغرام عندي أني ... بين قومي على الغرام دليل

ياعيون الاغن لا ترهقي اللحـ ... ـظ فسيف الالحاظ عضب صقيل

ما لهذا القوام يخطر كبراً ... كغصون الرياض حين تميل

ولذاك الدلال يترك من عز ... ذليلا فكل صب ذليل

علانيي بالموت كيف تشائين ... فاني على الممات عليل

أنا والله اشتهي الموت في الحب ... ليأسي عليّ هذا البخيل (١)

وقال

مري علينا يا صبا نجد ... تشكو اليك مدامعي وجدي

أمسيت والاشواق مضنية ... عندي من الاشواق ما عندي

تجري عيوني في محاجرها ... ومدامعي تجري على خدي

ما أنس والايام تجمعنا ... وكأنني في حنة الخلد (٢)

---

(١) قال بشار انا والله اشتهي سحر عينيك وأخشى مصارع العشاق

وكان ابو تمام يقول ما رأيت شعرا أغزل منه . وليس فيه من الغزل الا انه جبان غير محب وما الجبن من شيم العاشقين . واين هذا ممن يشتهي الموت في هوى من أحبه ليذكره فيحزن عليه ويشتد في ذلك حتى يجعل نفسه عليلا من اجل هذا الموت ؟ والحق ان بشارا لو قال مثل هذا لجن به ابو تمام .

(٢) فائدة بديعة . تقول العرب ما انس لا انس كذا ويريد القائل ان له به شغفاً فلا يغيب عن خاطره ابداً . وما فيه شرطية والفعلان مجزومان بحذف حرف العلة وهو تركيب شائع في كلامهم وقد وقع حذف الجملة الشرطية كما في قوله

ما انس قولي لها في الفجر اذ طلعت ... يالذة العيش زدى الروح في بدني

فان تقديره ان انس شيئاً ما انس الخ . ولا يختص هذا (بانس) بل له نظائر كقول كعب بن مالك (ما نجن لا نجن من اثم) البيت

تشكو كما اشكو الهوى واذا ... طارحتها أبدت كما أبدي

وتراع من ذكر الصدود اذا ... خطرت بقلبي لوعة الصد

واذا بكيت جريت مدامعها ... جري الندى صبحاً على الورد

قلبي وما في العيش لي طمع ... ما دمت يا قلبي على وقد

هل كل من يهوى يموت أسى ... أم قد بليت بذا الاسى وحدي

سل مسرح الآرام ما فعلت ... تلك الظباء الغيد من بعدي

لهفي عليها كم وفيت لها ... لو ان لهفي بعدها يجدي

ولكم حفظت لها الوداد على ... بعد المزار وضيعت ودي

ماذا أصابك بعد ما نظرت ... ورمتك عيناها على عمد

أو ما نهيتك في (الجزيرة) عن ... كنس المهى ومصارع الاسد

وأريتك الالحاظ مغمدة ... كالسيف مسلولا من الغمد

أعدى على كبدي هواك فلو ... أعلمتني ان الهوى يعدي

ياقلب مالي ما اضن به ... من بعدما فقدت سوى فقدي

حمل تحيتك الصبا فعسى ... يوماً تعود اليك بالرد

واجزع على قرب الديار فقد ... صبرت أوانسها على بعدي

يا غادة أرعى العهود لها ... هل أنت باقية على عهدي

أمسيت في قلبي وليت اذن ... قلبي يساعدني على الوجد

وقال

يا من اطال الهجر من بعدما ... مسنيَ الحب بما مسني

أنت وان اسرفت في ذا الجفا ... أحسن خلق الله في اعيني

وقال

هيفاء تأمر بالحسن من تشاء وتنهى
تغني عن البدر والبد ر ليس يغنيك عنها
اعطيتها بيدي رو حي ولما تصنها
يدي التي قتلتني فكيف اقتص منها [١]

وقال

(من بعد سلوه)

ويحك ياقلب عدت للنزق … أمارمتك الظباء بالحدق
وهل نسيت الهوى ومابعدت … أيام ذاك الوداد والملق [٢]
وكيف ينسى الغريق روعته … اذا نجت روحه من الغرق
رحماك ياقلب ليس من شيمي … أني أبيع الوفاء بالحمق
فاقبر بلحد الهوى لواعجه … انك ان نمت فيه لم تفق
ماخلق القلب للغرام ولم … تخلق عيوني لذلك الارق

وقال

جافيتني والذنب ذنبك … وظلمتني فالله حسبك
ما بال قلبك لا يرق … أمن صميم الصخر قلبك
وبخلت حتى بالرسائـ … ـل خوف أن تشفيه كتبك
وضننت حتى بالعتا … ب وربما يكفيه عتبك
ومنعت حتى الطيف لا … يدنو وقرب الطيف قربك

(١) هذا سؤال يعني الفقهاء اكثر مما يعنى الادباء فهل من فقيه اديب أو أديب فقيه يبين لنا كيف يكون القصاص هنا (٢) الملق التملق وهو من صفة الحب الكاذب

صلني أو اهجر انني … في الوصل والهجر أحبك
ولقد ترى أن الوفا … دأبي فما للصد دأبك
كل الانام عواذلي … صحبي يعنفني وصحبك
فاعجب وته ما ذا علیـ … ـك اذا أذل الناس عجبك
ان تبتعد او تقترب … فأنا على الحالين صبك

وقال

أناديك ياقلب مذ ودعوا … فمالي أناديك ولا تسمع
أما أنت أخضعتني للهوى … وما كنت لولا الهوى أخضع
أما قد أطعتك في حبه … وكنت له العبد بل أطوع
ألم أئتمنك على أضلعي … وكانت مغانيك الاضلع
أما أنت بيت حياتي وهل … لنفسي من بعدها مطمع
وكنت أظنك لي راجعاً … فمالك ياقلب لا ترجع
أما والذي في يديه القلوب … لقد أمست العين لاتهجع
وباتت من الدمع مطروفة … فأنى ذكرت اسمه تدمع
ويسرع في خاطري ذكره … ودمعي من ذكره أسرع
وقد غادرتني النوى بعده … اذا وصفوا لي النوى أجزع
نحيل كأني من خصره … ولكنني دونه الموجع
وقد حسبوني طيف الخيال … لولا الوسادة والمضجع
فياظبي كيف أسلت الحشا … وكنت بوادي الحشا ترتع
ويابدر كيف صدعت الفؤاد … وكنت بآفاقه تطلع
أقام بموضع قلبي الاسى … فلو عاد لم يسع الموضع

وقال

يافاتن النساك ماعهدنا   ان يدخل المسجد ريم الفلاه
أما تخاف الله في خلقه   لو تركوا ان شاهدوك الصلاه

وقال موريا

وخليل ضممته فتأبى   وانثنى نافراً كظبي الصريم
قال نار (الخليل) في القلب شبت   قلت اقبل فتلك نار (الكليم) (١)

وقال

أرقني يا حمام ذا الكمد   فهل وجدت الهوى كما اجد
بت على الغصن نائحاً غردا   وبت ابكي الذين قد بعدوا
واعيني ما تزال واكفة   واضلعي ما تزال تتقد (٢)
إنا كلانا لعاشق دنف   طار بنومى ونومك السهد
فنح رويداً فما سوى كبدى   تذوب يا باعث الجوى كبد
لي مهجة تعشق الجمال وهل   يلام في حب روحه الجسد
عذبها بالصدود ذو هيف   أغيد قد زان جيده الجيد (٣)
تعز في حسنه الظباء وقد   ذلل في ملك حسنه الاسد
قفا على داره فأسأله   اقل من وعده الذي يعد
وغنيا ان رأيتما طللا   (أقفر بعد الاحبة البلد)

(١) التورية هنا في الخليل والكليم فان الخليل الصاحب وهو لقب سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام وناره هي التي اوقدها النمرود وطرحه فيها فعادت برداً وسلاماً والقصة مشهورة والكليم أي المكلوم بمعنى المجروح من كلمه أي جرحه وهو لقب ايضاً لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وناره هي التي آنسها من جانب الطور ووجد عليها الهدى (٢) وكف الدمع سال (٣) الجيد محركة طول الجيد

وقال

عزمت على التجنب أم تدل   وهل لسواك في قلبي محل
أما يرضيك مني ان نفسي   تذل ومثل نفسي لا تذل
وقد احرقت قلبي ما تبالي   وفيه اليك شوق ما يبل
فسل عينيك ما لهما استحلا   دمي ودمي حرام لا يحل
لقد كذب العواذل يوم قالوا   سلا أو سوف ينساه فيسلو
وما انا والسلو ونحن قوم   اذا بلغوا الهداية لم يضلوا
أرى أيام عمري فيك تطوى   كأنك الشمس والايام ظل

وقال يتلهف

الا ايها القلب لا تبأس   وايتها النفس لا تيأسي
أئن نفروا الظبي لم تأنسا   لوحشة ليلي فلم آنس
وضاقت بي الأرض حتى كاني   من الضيق امسيت في محبس
دعاه يحجبه داجي الهموم   فما تطلع الشمس في الحندس (١)
والا تعينا على سلوة   فصبراً على الاعين النعس
عهدتكما طائري بانة   وعود كما خضر مكتسي
فأيبسه حر هذا الهوى   وماء الصبا فيه لم ييبس
وسامكما الشوق هذا الهوان   وساءكما في النوى مايسي
واني ليحزنني بعد ذاك   ان يذهب الحب بالانفس
فيا آنس الله اهل الهوى   ومن يخلقون بلا مؤنس
ترى الصب تحسبه ميتاً   ضجيعاً على القبر لم يرمس

(١) الحندس بكسر الحاء والدال الظلام

وحسب بني الشوق ان يعرفوا … بذل رؤسهم النكس

لقد ضل بين الهوى والعيون … رأي الفتى الحازم الا كيس

كما ضيع العقل أهل العقول … بين المدامة والا كؤس

فيا كوكب الصبح أما بزغت … تألق تاجاً على الأرؤس

ويا طلعة البدر اما سفرت … كما تسفر الخود في المجالس

ويا غادة الروض أما جرت … ذيول الحرائر والسندس

ويا اذن الريح أما وعيت … سلام ذوي الكلف البؤس

وياشفة الورد اما لثمت … عيوناً تفتح في النرجس

ويا لمة الآس فينانة … كلمة ذي الصيد الاشوس (١)

ويا قضب البان مياسة … ترنح كالاهيف المحتسي

خذي للمحجب عني السلام … وقولي نسيت فتى ما نسي

وقال

زعموني نسيت والهجر ينسي … وتلاهيت بعد ايام انسي

سائلوا النوم هل رأته عيوني … واسألوا عن هواي مالك نفسي

فورب السماء والارض اني … لأرى في مصارع الحب رمسي

كيف اسلو وقد حسوت كؤسي … من خدود ومن مراشف لعس

كلما دارت الشفاه بكأس … دار خداه لي بكأس وكأس

وأرى وجهه وقد بدت الشم … س فاغدو ما بين شمس وشمس

ومتى كنت ناقض العهد حتى … أتناسى عهوده بالتأسي

(١) اللمة بالكسر الشعر المجاوز شحمة الاذن والفينانه الحسنة الشعر الطويلة

(٢) اللعس سواد مستحب في الشفه

انما الحب في الكرام حبيس … أنزلوه من صدرهم خير حبس

هل ترى حب عبلة مات الا … يوم مات الكريم فارس عبس

واذا كان بين قوم وداد … لم يخنه في القوم غير الاخس

اكفني ذلك الصدود فاني … لا ارى الصد غير طالع نحس

وارو من مهجتي عليك غليلا … سعرته في اضلعي نار يأسي

انني ذاكر ودادك ما عش … ت وان كانت الحوادث تنسي

لا أرى عبرتي والنوح والسهـ … ـد ووجدي سوى فرائض خمس

ولقد شفني العواذل حتى … خلت عمري ما بين يومي وامسي

وقال

سحر عينيك سال في تشبيبي … فانثنى منه عطف كل أديب

وتمشي الى القلوب كبشرى … يوسف اذ مشت الى يعقوب

يستميل المشوق نحوك هز الـ … ـخمر عطف الطروب نحو الطروب

فاعجبي كيف شاء حسنك ما التيـ … ـه اذا شاءه الهوى بعجيب

واخضبي بالقلوب لحظك إنا … لا نحب الحسام غير خضيب

وتجني كما بدا لك فينا … وبدا للدلال في تعذيبي

واتركيني تراقب النجم عيني … ودعيني وما يشاء رقيبي

كل ما تكره النفوس من الضر … حبيب ان مسها من حبيب

يادعاة السهاد في كل ليل … وعداة الكرى واهل النحيب (١)

وذوي المدنفات والكبد الحر … راعليها من كل صب كئيب

اطلعوها على القلوب عساها … تستحي من فعالها بالقلوب

(١) السهاد السهر والنحيب البكاء

لا تضنى ياظبية ان تحيي   عاشقاً هام في النقا والكثيب

من بعيد اذا اغتدى من بعيد   وقريب اذا اغتدى من قريب

أنا ايوب من هواك فاين الصـــبر يسرو الهموم عن ايوب (١)

وفؤادي في راحتيك وخير   ان يكون العليل عند الطبيب

وقال (وهو معنى غريب)

قلت للغادة البخيلة لما   رفضت رقعتي وخافت جوابي

ما لمر النسيم يجرح خديك   ومر النسيم مثل عتابي

وللمس الحرير يوجع كفيك   ولمس الحرير مثل كتابي

فرأيت العيون تنطق بالسحر   وقالت علي فصل الخطاب

عوذت منك قلبها بالتجني   ووقت منك كفها بالخضاب (٢)

وقال مثله

حجبوه عن عيني فبات صبة   كيلا ترى في النوم طيف خياله

وبقيت يعذلني المنام بصده   ويسومني التبريح في اذلاله

يا رحمتا للصب فيما نابه   حتى كرى جفنيه من عذاله

(١) سراعنه الهم يسروه ازاله

(٢) المعنى انه كتب الى غادة كتاب عتاب فرفضت قبوله لئلا تتكلف الجواب فاحتج عليها بانها تترك النسيم يجرح خديها بخطراته وان عتابه لكالنسيم وانها تلمس الحرير فيوجع كفيها وان كتابه لكالحرير فأجابته عيناها من السحر الذى لايفقهه الا القلب بانها خافت على قلبها من تأثير العتاب فيه فعوذته بالتجني الذي ألجأها الى رفض الكتاب ووقت كفها منه بالخضاب كي لا تلمس يدها ذلك الكتاب (كانها شافعية) والاحتجاج غريب والجواب أغرب منه وفي البيت من حسن التضمين ما فيه

وقال

مالك عند الحبيب عذر   وكل يوم نوى وهجر

اذا تناءيت لايبالي   وان تقربت لايسر

يأبي عليه الدلال ان لا   يزال فيه عليك كبر

ليس سوى الحب من جنون   وليس غير العيون سحر (١)

تشكو الى البدر من جفاه   كلاهما لو علمت بدر

وترقب الفجر في الدياجي   وهل لليل المحب فجر

قد عرف الناس ماتعاني   وليس للعاشقين سر

فلا تطع من يلوم فيه   ولا يغرنك ما يغر

ولا تكن للوشاة عبداً   فليس بين الوشاة حر

واصبر على اللغو صبر قوم   مروا كراماً غداة مروا (٢)

وهون الخطب كم عسير   اعقبه في الامور يسر

ماذا على الدهر ان تمادي   وكل يوم عليك دهر

وكيف ترضاه وهو حلو   وتجزع اليوم وهو مر

لاترج من اغيد وفاءاً   شيمة اهل الجمال غدر

واصبر لها ما دهاك خطب   ان دواء الهموم صبر

(١) من عجيب ما يروي عن (سحر العيون) ان فتى رأى عيناً سوداء من كوة فافتتن بها وطال تردده على الكوة زمناً حتي ضني فشكا لبعض اصدقائه فقال تلك دار بعض اقاربي ولا عهد لي بمثل تلك العين فيها ثم دخل الدار فلم ير كما وصف الا عين (شاة) مربوطة عند الكوه فعاد متعجباً وأخبره فلم يصدقه صاحبنا وقضى غراماً

(٢) المعنى من قوله تعالى « واذا مروا باللغو مروا كراماً » واللغو السقط ومالا يعتد به من كلام وغيره

تفنى الليالي وليس يبقى ... ماينفع المرء أو يضر
يامن تعذبت في هواه ... أما لصبري الطويل اجر
بي حسرات عليك ما إن ... يقوى علىّ مسهن صدر
نسيتني والزمان بؤس ... وكنت لي والزمان نضر
اذا رضينا فما علينا ... ان ليس يرضى زيد وعمرو

وقال

يا صاح من للقلب من نائم ... كل محب فيه سهران
هجرت نومي وهو لي هاجر ... فكل عمري فيه هجران
لوساطوا عينيه في عسكر ... لم يبق في العسكر انسان

وقال (من أول قوله)

ابصرته تحت ظلام الدجى ... تضيء في خديه لي جمرتان
فقلت في الخدين نار الحشا ... فقال لكن فيهما جنتان

وقال

حكمه الله في القلوب فما ... ترحمنا عينه من الحور
وما اري قلبه يرق لنا ... كأنما قلبه من الحجر
يافاتن الناس حسن صورته ... ما تتقي الله خالق الصور

وقال

اطاب لذلك الرشإ الجفاء ... فلذ لاعيني فيه البكاء
رشا ذلت له الاسد الضواري ... وعزت في ملاحته الظباء
تعلم كيف تنبعث المنايا ... وكيف تراق في الحب الدماء
وعلم ناظريه الفتك حتى ... كأن عليهما وقف القضاء

تلقته الصبا سحراً فمرت ... وفيها للمحبين الشفاء
له مني التدلل والرضاء ... ولي منه التذلل والاباء
فما القاه الا في الاماني ... وهل يشفي الجوى هذا اللقاء
اذا ما شاء رد علي نومي ... ولكني أراه لا يشاء
لعمري ليس في الدنيا مليح ... يكون سجية فيه الوفاء
ولو مثل الجمال لكان نفساً ... خلائقها الخيانة والرياء
عفت تلك المرابع والمغاني ... وما عفت المودة والاخاء
وأصبحت الليالي حاسرات ... كما لطمت عوارضها النساء
وفي قلبي من الهجران سقم ... وفي كبدي من الاشواق داء
وليل بت اقضيه بكاء ... وما لليل بعدهم انقضاء
تمر به الفجائع مسرعات ... وانجمه كآمالي بطاء
لو ان على الكواكب ما بنفسي ... لألقتها الى الارض السماء
هموم تشفق الاطواد منها ... واحزان يضيق بها الفضاء
كأني ما لبست الصبح تاجا ... تألق فوق مفرقه ذكاء
ولم انض الكؤس مجللات ... تخف بها الى الهم الطلاء
بروض تصدح الآمال فيه ... ويرقص بين ايدينا الهناء
وقد هب النسيم على فؤادي ... كنضو اليأس هب له الرجاء
كأن من المجرة فيه نهراً ... تحوم عليه افئدة ظماء
وقد أنس الحبيب ومر يلهو ... كما تلهو بمسرحها الظباء
وضرجت المدامة وجنتيه ... فكاد الورد يفضحه الحياء
ومال فراح يرقص كل غصن ... وللأغصان بالقد اقتداء

زمان كان مثل الصبح راحت   به الدنيا واعقبه المساء
كذاك الدهر حال بعد حال   لاهليه التنعم والشقاء
اذا سرتك ايام اساءت   فليتك لا تسر ولا تساء
وان لم يبق في الدنيا حبيب   فأولها وآخرها سواء

وقال { وهي في اول القول }

اذا مابكيت فنح ياحمام   وطارح اخاك شجون الغرام
ويانفحات الصباح احملي   بجيب الصبا نفحات السلام
ومري بتلك الديار التي   بكيت عليها بكاء الغمام
فكم زمن هام فيها الفؤاد   بين الفتاة وبين الغلام
بكيت لصحبي فأبكيتهم   وكم مستهام بكى مستهام
وذو الشوق يرثي لاخوانه   كذى السقم يرحم اهل السقام
ألا فرعى الله ذاك الانيس   وان كان روعنا بالخصام
هو البدر لكنه ظالم   وذلك يكشف عنا الظلام
وقال صحابي خذ في المنى   فقلت أراه ولو في المنام
ومن لي بذاك الرضاب الذي   أرى كل خمر سواه حرام
لقد هجر الحب كل القلوب   ولكنه في ضلوعي اقام

وقال

آما آن لهذا المعـرض الغضبان ان يرضى
رمت عيني الفؤاد به   فبعضي قاتل بعضا
وقد الهه الحب   فادينا له الفرضا (١)

(١) الهه جعله الها ومن كلام ابن عباس رضى الله عنهما الهوى اله معبود

وما اصبح مثل الشمـ   ـس حتى فتن الارضا
فان يقضى عليَّ به   فقد قدر ان يقضى
ولست اذا الطبيب جنى   أرى الذنب على المرضى

وقال

لم يأل صبراً عنك حين هجرته   لو كان ينفع صبره لسلاكا
تطوى الليالي في هواك حياته   وأراه ينساها ولا ينساكا
رحماك يا من قد اطال بليتي   يا من اطال بليتي رحماكا
أعلي هذا الهجر طال عذابه   وعلى الذي يهواك صال هواكا
فلقد عرفت بك الشقا بعد الهنا   لما غضبت علي بعد رضاكا
نهنه دموعك يا حزين فانها   دول سيضحكك الذي ابكاكا (١)

وقال

قولوا لهذا الرشأ الهاجر   ان دموعي جرحت ناظري
أبيت لابدر الدجى مسعدي   ولا أخوه في الكرى زائري
والليل في خطوة أقدامه   ابطأ من تأميلي العاثر
وطائر البان على أيكه   مكتحل من نومي الطائر
وبي هوى قام على مهجتي   ينفذ أمر الملك الجائر
أطيعه في قتل نفسي وما   علي الا طاعة الآمر
من لم يكن مثلي فلا يدعي   حب ذات النظر الفاتر
أنا الذي أرسل ذكر الهوى   في الناس مثل المثل السائر
من معشر نالوا العلى كابراً   تعزى له العلياء عن كابر

(١) دول أي حالات فيوم لك ويوم عليك ونهنه الدمع حبسه وكفه

حلوا ذرى الفخر وما غيرهم   يسمو الى الذروة من فاخر

فقل لهذي الارض تزهى بنا   زهو السما بالفلك الدائر

انا ليوث شهدوا أنها   أشبال ذاك الاسد الكاسر

المفزع الدنيا بسمر القنا   والضارب الآفاق بالباتر

والحكم العدل كما شاءه   من بات يخشى بطشة القاهر

ما عابني ان قيل ذو صبوة   أو قيل (مجنون) بني عامر

والحب أهدى لفؤاد الفتى   من حاجة النفس الى الخاطر

يحار عقل المرء فيه فهل   من حيلة في عقلي الحائر

وبي مليح الدل ذو طلعة   تكمد وجه القمر الباهر

أوحت الي المعجزات التي   ليس لها غيري من شاعر

لو مرَّ بالظبيات لاستأنست   وجداً بمثل الرشأ النافر

ولو رأته الاسد في غابها   رأت مثل الاسد الخادر

براه من صوره فتنة   مهفهفاً كالغصن الناضر

يسومني الصبر وهل عاشق   من لم تمته لوعة الصابر

راح بنومي واصطباري معاً   يتيه تيه الملك الظافر

وما اتقى الله ولا يتقي   في مدمعي الملتطم الزاخر

يا مرهف الاعطاف ماذا الذي   ترهفه من لحظك الساحر

سلبتني النوم وضيعته   فرد بعض النوم للساهر

كم عاذل فيك وكم عاذر   وما على العاذل والعاذر

اني امرؤ في نفسه عزة   تجله عن شيمة الغادر

ان قتلتني صبوتي فالهوى   أوله يقتل في الآخر

وقال

خلق الله الجمال حكمة   تذكر الناس نعيم الآخره

كل عين سهرت فيه ولم   تك من قبل الهوى (بالساهره)[١]

ليس ما يروى عن السحر سوى   ما نراه في العيون الساحرة

ومن أول قوله

زارت وقد طافت بناسنة   فطفقت اسمعها من العتب

وكأنما اشفي جوى بجوى   وأتوب من ذنب الى ذنب

فبدا لها فتدللت ونأت   تدعو على الاحباب والحب

فنهضت مضطرباً أرى فاذا   بيديَّ من اسفي على قلبي

وقال

بنفسي من تشفى اناملها الجوى   فلو قبل المضنى يديها لما اشتكى

ولو ان قلبي كان في القبر ساكناً   ومرت عليه كفها لتحركا[٢]

وقال وهي في أول القول

صدت فكان سلامها نزرا   وغدت تضن بذلك النزر[٣]

ومضت ليال كنت احسبها   قبل التفرق آخر العمر

(١) الساهره من اسماء جهنم قال تعالى « فاذا هم بالساهره » وهي ايضاً اسم فاعل من سهرت ففيها التورية

(٢) ليس في تحرك قلب الميت اذا مرت عليه يد الحبيبة غرابة ولا هذا مستحيل فقد ظهر ان طبيباً من أطباء (بطرسبرج) صنع جهازاً يعيد به الحياة الى القلب بعد الموت وجربه في غلام بعد موته بأربع وعشرين ساعة فجعل قلبه ينبض نبضاً منتظماً وبقي كذلك ساعة والطبيب لا يزال واثقاً بالنجاح طامعاً فيه . وما يمنع ان تقوم كف الحبيب . مقام جهاز الطبيب ؟ (٣) النزر القليل

أيام نحن وعيشنا رغد ... يجري الزمان بنا ولا ندري

من عاشق يشكو لعاشقة ... بث الاسير اخاه في الاسر

وتميس في أثوابها الحمر ... كالغصن في أثوابه الخضر

وكأن ليلة اذ تقابلني ... بعد التمنع ليلة القدر

كانت سلاماً لانحاذر في ... ماكان الا مطلع الفجر

وأرى الندى في الورد منحدراً ... كالدمع فوق خدودها يجري

كل امرئ لاق منيته ... والحب جالبها على الحر

ومن أول قوله ايضاً

سلي بعدك الواشين هل ذاع لي سر ... وان كان اضناني بتبريحه الهجر

على انني كاتمت صدري مابه ... وفي كبدي ما ليس يعلمه الصدر

حفظتك لا اني أرجي من الهوى ... وفاءاً ولكن ليس من شيمي الغدر

اذا هجعت عيناك جافاني الكرى ... وباتت تناجيني الخواطر والفكر

أقاتلتي ظلماً لي الصبر والرضا ... وان كان قلبي ليس يحلو له الصبر

اذا كان ذنبي انني لك عاشق ... فمنك اليك العذر لو يشفع العذر

لك النهي الا عن هواك وللهوى ... بلحظك في ألبابنا النهي والامر

وقد ذقت من حلو الزمان ومره ... فلا الحلو انساني هواك ولا المر

ويارحم الله الليالي التي مضت ... ليالي كنا والزمان بنا نضر

وكانت حمامات اللواحظ بيننا ... تروح وتغدو والقلوب لها وكر

ألا رب ليل أسفرت تحت جنحه ... فما شك اهل الحي ان طلع البدر

وقالت عذيري منك امسيت غادراً ... فقلت معاذ الله ان يغدر الحر

فقالت فما للفجر تشكو له الهوى ... فقلت وهل ليل المحب له فجر

فقالت نسيت العهد قلت وهل سوى ... غرامك خصمي يوم يجمعنا الحشر

فقامت على كبر تقول قتلته ... كأن لم تكن تدري ولا عندها خبر

ومثلي فتى الدنيا الذي ان مشوا به ... الى القبر لايطوي مآثره القبر

وقال

أراك تنظر للغزلان شاردة ... ولا يرد شبا عينيك عينان

ما دمت تهوى حبيباً فالفؤاد له ... وليس ينزل في قلب حبيبان

وقال

نزع القلب بي فسرت رويداً ... فاذا من احبه في طريقي

يجتني كأن (قاضي الجنايا ... ت) نصير لقده المشوق[1]

ورآني بذلة العاشق الصب ... فصدته عزة المعشوق

وقال

أنت غرست الحب في اضلعي ... فكيف لا اسقيه من ادمعي

لو شئت ياحلو اللمى لم تبت ... غلة هذا القلب لم تنقع

ولم أبت ليلة جافيتني ... من مضجع جاف الى مضجع

اذا دعاني السهد لبيته ... وان دعوت النوم لم يسمع

أسأل ليلي ماله لم يغب ... وما لنجم الصبح لم يطلع

(١) لا يمكن ان يكون هذا القاضي مصرياً ولعله فرنسوي فان الذي يدفعه حبه في فرنسا الى أرتكاب جناية يعذره القضاة لانه مدفوع بباعث الحب وهو شيء اضطراري كالقضاء والقدر . ومن نوادرهم ان شاباً ولع بفتاة واشتدكلفه بها على تمنعها فرصد لها مرة في طريقها وقبلها بالرغم عنها فرافعته الى المحكمة لانه اهان شرفها ودافع عنه محام درب فكانت النتيجة ان المحكمة الزمتها بأن تأخذ ثمن القبلة او تقبله بدلها عشرا . . . فانصرفت الفتاة وعلى وجهها وردتان من غير الورد المقطوف

واحسب الطير اذا رجعت … حنت لمن اهوى فناحت معي
ذو هيف يقنعني طيفه … وهو بغير الروح لم يقنع
لم الق ممن نظروا وجهه … الا فتى يعشق او يدعي
يا هاجراً أسقمني طرفه … كل دواء فيّ لم ينجع
كم حرقة قد ضاق صدري بها … ولوعة كاتمتها اضلعي
وحسرة في النفس ما غادرت … قبلي الفتى العذري حتى نعي
اخافها بعدي لاهل الهوى … من موجع القلب الى موجع
تستنزل المالك عن عرشه … بين يدي عرش الهوى الارفع
وتبعث الروعة يوم الوغى … الى فؤاد البطل الأروع
فابعث لقلبي منك تسليمة … أبثها في ذلك الموضع
تسترجع النوم الى اعيني … فقد مضى النوم ولم يرجع
كم امر الحب وكم قد نهى … فبت باكي العين لم اهجع
ومن يكن قائده حبه … يقده بالرغم الى المصرع

وقال

امن الظبا ذاك الغرير المعجب … يلهو بحبات القلوب ويلعب
قد كنت احسبني رايت نظيره … حتى بدا فرأيت ما لا احسب
قمر كأن الشمس فوق جبينه … أضحت لو ان الشمس ليست تغرب [1]
وكأن طرته طليعة ليلة … حلكت فاشرق في دجاها كوكب
جمع المحاسن فهي تنسى ان يغب … واذا بدا فله المحاسن تنسب
وعلقته كالظبي أحور يرتجي … وعشقته كالليث أزور يرهب

(١) اضحت أي صارت في الضحى والشمس أحسن ما تكون حينئذ

يرنو فتنتزع القلوب لحاظه … وتكاد انفسنا عليه تذهب
واذا مشى الخيلاء في عشاقه … خلت المليك مشى وقام الموكب
وبثغره ظَلم يحرم رشفه … ظُلماً عهدي ان يحل الطيب [1]
ولقد تحكم في النفوس فبعضها … أودى العذاب وبعضها يتعذب
وعجبت ان الحب يقتل أهله … ولان اكون به قتيلا أعجب

وقال

أما كفاك الفراق غدرا … وبعد هذي الديار هجرا
أسائل البدر عنك حينا … وأسأل الشمس عنك طورا
وكلما غردت حمام … في الايك طار الفؤاد طيرا
قضى علينا الغرام انا … نتخذ الليل فيه سترا
فمن عيون تبيت عبرى … ومن عيون تبيت سكرى
وكل يوم يخلف يوماً … أراه دهراً يعقب دهرا
يا أحسن الفاتنين قدا … وأرفع المالكين قدرا
فتنت مصرا فهل تولى … يوسف ياذا الدلال مصرا
لو عبد الشمس فيك قوم … لكان هذا الجمال عذرا
ما إن حسبت الزمان يوماً … يترك نفسي عليك حسرى
اذ تنثني جوى وحسنا … واذ تجنى هوى وكبرا
نقتسم العيش لا نبالي … أكان حلواً ام كان مرا
وقد تركنا زيداً وعمرا … يضرب زيد هناك عمرا
في كل ليل أطارح عمرا … وا كتسي في النهار عمرا

(١) الظلم بالفتح ماء الاسنان

وقد أبانت لنا الليالي   ان لهذي الحياة سرا
بينا يكون الزمان عسرا   اذا تراه استحال يسرا

وقال

طال عليَّ ليلي   وليلكم في قصر
من نام ملء العين لا   يعرف اهل السهر
فسائلوا ريح الصبا   تنبيكم عن خبري
ياقمر الآفاق هل   سرقت حسن قمري
فانت مثل وجهها   والليل مثل الشعر
ذات جفون قتلت   بصارم منكسر
تلين في حديثها   وقلبها كالحجر
وانعقد الشديان في   قوامها كالثمر
لهفي على دهر مضى   مع الليالي الغرر
مرَّ بها فلم تكن   (الا كلمح البصر) (1)
اماتني هذا الهوى   قبل انقضاء العمر
اوقعني في خطر   من منقذي من خطري
لا تعذلوني انه   ذنب القضاء والقدر

(وقال) هجروك بعد صبابة وغرام   وأراك لا تنسى هوى الآرام
أتبعتهم نفساً عليك عزيزة   وطويت جنبيها على الآلام
كم تحت جنح الليل مثلك مدنفاً   أنسى الليالي عروة بن حزام (2)

(1) اقتباس من قوله تعالى «وما أمر الساعة الا كلمح البصر»
(1) هو أحد عشاق العرب المشاهير واسم صاحبته عفراء

يجري مع الاوهام حتى انه   لتكاد تحسبه من الأوهام
ياقلب كم لك في الهوى من صبوة   ضربت بك الامثال في الاقوام
عدوا عليَّ مآثما لم أجنها   والحب يا قلبي من الآثام
فدع الهوى يجري كما شاء الهوى   ان الحسان كثيرة اللوام
كم بت أحلم بالمنام وما أرى   تجدي عليَّ لذاذة الأحلام
فادرأ هموم العيش بالكاس التي   تحكى عجائزها عن الاقوام
صهباء ان مست فؤادي مرة   غسلت بجنبي كل جرح دامي
سموا اباها الكرم حين تبذلت   في فتية شم الانوف كرام
وتراوحوا كاساتها فكأنما   عادت بها الارواح للاجسام (1)
يارحمة العشاق من أحبابهم   ناموا وباتوا الليل غير نيام
حتى اذا انطفأت مصابيح الدجى   وأضاء فود الليل بعد ظلام
خبأوا الهوى بين القلوب وأصبحوا   وتوارت الازهار في الاكمام

وقال

خل القلوب لما بها   تصبو الى أحبابها
من أرضهم خلقت فنا   زعها الهوى لترابها
كم قطعت ذات الحجا   ب قلوبنا بحجابها
هيفاء ان خطرت فغصـ   ـن البان في أثوابها
واذا أمطت نقابها   فالشمس تحت نقابها
والسحر في تلك العيو   ن يلوح من أهدابها
والورد في وجناتها   يندى بماء شبابها

(1) تراوحوا الكاسات بمعنى توالوا عليها أو دارت في يد كل منهم

جمعت فنون التيه والا ... دلال في إعجابها
فاذا رأت سرب المهى ... تاهت على اترابها
واذا رأت أهل الهوى ... عزت على طلابها
واذا رنت غدت القلو ... ب تفر من اصحابها
سكرى القوام كأنما ... ثملت بخمر رضابها
عاتبتها يوم النوى ... وحملت اثم عتابها
فمشت وأوقفني الهوى ... أبكيه بعد ذهابها

وقال

سعوا بيننا حتى لقد كنت راضيا ... فأصبحت من قولي أحبك تغضب
ولم أجن ذنباً غير اني ذو هوى ... وانك لي دون الانام محبب
وقالوا ستنسى ان تباعد بيننا ... فياليت داري من ديارك تقرب
وياويلتا ان بت أستعطف الهوى ... وبت على حكم الهوى تتجنب
فلا تمكن الواشين من ذات بيننا ... فليس لهم غير التفرق مطلب
وانك لو أبصرت مابين أضلعي ... لأبصرت قلبي في لظى يتقلب

وقال

ياطلعة البدر التمام ... وقامة الغصن الرطيب
ماشئت اني في الهوى ... لا بالملول ولا الغضوب
ليت الذي بك حين تنـأى معرضاً ... مثل الذي بي
كم بت بعدك ليلة ... أدعو بها للمستجيب
وشكوت هجرك للصبا ... شكوى الغريب الى الغريب
أمست ليالي ذا الجفا ... مثل الهموم على القلوب

سوداء في لون الشبا ... ب وهم أيام المشيب

وقال

قالت صلني فانني لك باق ... ولو ان الكثير ليس بباق
قال من كان في الجمال وحيداً ... لايبالي بكثرة العشاق

وقال

يا كحيل العيون غض قليلا ... أوشك العاشقون ان يعبدوكا
كل مافيك بينهم معجزات ... ومن المعجزات أن وحدوكا
فارقب الله في النفوس اذا النا ... س غدا عن نفوسهم سألوكا
ماحسبت القلوب تسفك حتى ... صار قلبي من لحظة مسفوكا

وقال

أراك نسيت ياظبي الصريم ... ليالي ذلك الانس القديم
ولج بك الجفاء فما تبالي ... بما ألقى من الوجد الاليم
وطال علي هم الهجر حتى ... لقد سئمت ملازمتي همومي
وكنت أرى لهذا الدهر حلما ... ولكن ضاق بي صدر الحليم
وعهدي بالهوى ملكا رحيما ... فأين تعطف الملك الرحيم
ليالي والصبا غصن رطيب ... يكاد يمج من ماء النعيم
فكم من ليلة بتنا نشاوي ... كما شاءت لنا بنت الكروم
وقد أوحت الي بكل معنى ... أخف عليك من مر النسيم
فمن غزل كأن السحر فيه ... ومن عتب كعافية السقيم
ولا غي سوى غي التصابي ... ولا عبث سوى عبث النديم
وبتنا والكؤوس مصففات ... تباهي الجيد بالعقد النظيم

اذا رحنا لها تحنو علينا … حنو المرضعات على الفطيم [1]

وتخدعنا مدامتها فنغضى … كما يغضى الحميم عن الحميم

جلوناها وعين الفجر توحي … لواحظها الى الليل البهيم

وكان الروض مطلول الحواشي … وذاك النهر مصقول الأديم

تعرض للنجوم على جفاها … فزارته خيالات النجوم

ويوم قد قطمناه حديثاً … ألذ من الاماني للعديم

على أفك العواذل والاواحي … وظنة كل أفاك أثيم [2]

يلاحظني وألحظه كلانا … كما نظر اليتيم الى اليتيم

وما أنسى مواعده وقولي … عسى يوم أهنأ بالعقيم [3]

ولا أنسى بكائي يوم غنى … (اذا غضبت عليك بنو تميم) [4]

فياريحان كل فتى شجي … حبيب أو خليل أو كليم

ويامالك القلوب وقد أراه … علا منها على العرش العظيم

لقد عذبتني بالهجر ظلما … فهل لي من يعين على الظلوم

وما أبقيت يوم صددت روحي … فما تبقى من الجسد الرميم

أحاط بك الوشاة وكنت تدري … غواية كل شيطان رجيم

فمالك حلت عن عهد التصابي … وما عهد التصابي بالذميم

تبارك من أعد لكل صب … عذولا من لئيم أو كريم

(١) تضمين من قول القائل واختلف فيمن هو (نزلنا روحة مخفا علينا حفوالخ)

(٢) الافك الكذب والظنة بالكسر التهم

(٣) العقيم التي لا بلد ولكون مواعيده لا تنجز شبهها بالعقيم والتهنئة بها أي يولادتها وهي بعيدة

(٤) صدر بيت لجرير وتمامه (حسبت الناس كلهم غضابا) وهو تضمين بديع

وقال

مرض العيون الحور طبه … وسلام ذي الاجفان حربه

وبه رشا أحوى أغن … كما يشاء براه ربه

لم يحكه الغيد الحسا … ن وهل تحاكي البدر شهبه

يجزى محبة من يتيـ … ـم به الصدود وذاك دأبه

يا قلب لم يعذرك في … هذا الضنى والذنب ذنبه

من للجفون بان تنا … م وما يطيع الجفن هدبه

أترى ضنيت على حبيـ … ـبك أم كذا قد صار قلبه

رشأ تلاعب بالنهى … لا يستفيق الدهر لعبه

مازال يهوى الناس حتـ … ـى ما يعد اليوم صحبه

والحب أحسن مايكو … ن اذا انفردت بمن تحبه

فاصبر على خطب الزما … ن فهينه يمضي وصعبه

وقال

بالله يابدر السما هل درى … أخوك أني في غمار المنون

يقتلنى الشوق وهذى النوى … وذلك السحر وتلك العيون

أحسبني كسرى لتيهي به … لولم أكن أبطنت مايعبدون [1]

وما أرى الدنيا سوى دولتي … ومن فنون الحب هذا الجنون

يابدر بلغه سلامي وقف … واشرح له ما أحدث العاذلون

سبحان من صوره فتنة … يعذب الناس ولا يغضبون

(١) أبطنه جعله في باطنه وما يعبده الفرس حمى النار قيل انها بقيت الف عام لا تخمد

وقال

أي ذنب جنيت حتى تجنى ... إنني كدت بعده أن أجنا
كل يوم أظل أسأل عنه ... من أراه وليس يسأل عنا
ألف البخل لا يرد سلامي ... وتناسى ايام كان وكنا
ورأى كتبه دوائي على البعـــد من الشوق والجفاء فضنا
لا أرى طيفه ولا الدار تدنو ... فأراه ولا الصبابة تفنى
أيها الدائم التجني علينا ... زادك الله في تجنيك حسنا
ربما مرّ للمحب زمان ... نال فيه المحب ما قد تمنى
قد رأى الناس فيه قيساً وقساً ... وارتهم عيناك ليلى ولبنى
ورميت الدجى بساهرة الليـــل تفيض الدموع وجداً وحزنا
فتحت جفنها فطار كراها ... وبكته فليس تغمض جفنا
إن تمش يرجع المنام اليها ... أو تمت بعدها ففي الحب متنا

وقال

كم تجنيت يا مليح النفور ... وأطلت الجفا على المهجور
لا ترعه فقد كفى ما يقاسي ... من أنين ولوعة وزفير
يجد العمر في هواك قصيرا ... وزمان الصدود غير قصير
من ليال تمر مر سنين ... وشهور تمر مر دهور
قائماً في دجاه يرتقب الفجـــر ويرمي الدجى بدمع غزير
وتكاد النجوم تهوى اذا ما ... بث شكواه للعليم القدير
يتلاعبن في المجرة كالحو ... ر تراقصن في مياه غدير
خانه قلبه فبات جزوعا ... وفؤاد المحب غير صبور

ولقد كان في هواك عزيزاً ... يتأبى على الظباء الحور
ملك الحب والصبابة والشو ... ق ورب الايوان رب السرير [1]
فوقه كسرى وفوق قيصر في الملـــك وفوق الرشيد والمنصور
فاذا شاء انزل البدر قسرا ... واذا شاء كان عند البدور
تتهاداه بالعيون ظباء ... ناقات على الغزال الغرير
أسكنته الضمير حتى رأته ... يتهادى من كبره في الضمير
وتباكين حين سار غراما ... فمشي فوق لؤلؤ منثور
فتحفظ بمهجتي يا مليكا ... شب فيها هواه نار السعير
ان خطب الصدود منك وان طا ... ل على عاشقيك غير عسير

ومن أول القول

غصن اذا مال قمت من شغف ... أمجد الله كيف سواه
قالوا سبا مهجتي فقلت لهم ... ما في يد العبد ملك مولاه

وقال (في طريقة ابن زيدون)

كفى صدوداً فما ابقى تجافينا ... منا ولا الدمع ابقى من مآقينا
تطير نفسي من ذكراك خافقة ... على ليال تخذنا ذكرها دينا
اذ الزمان طليق الوجه مبتسم ... في صفحتيه عذار من ليالينا
واذ رياض التصابي منك زاهرة ... خضر الجوانب تسقيها امانينا
كانت بهانسمات الغيث راقصة ... تهز من حبنا فيها رياحينا
لا يمد الدهر بعد اليوم لي يده ... فما سوى الهم أمسى بين أيدينا

(١) الايوان هو ايوان كسري المشهور وفي هذا البيت وما بعده معنى فنون الحب التي تقدمت ...

وادمع في زمام الحب جارية ... ما كن لو لم يرضها الحب يجرينا
صيرن هذى الدرارى من عواذلنا ... ومطلع الشمس فيها من اعادينا
مر الزمان الذي كانت فجائعه ... تخطى وهذا زمان ليس يخطينا
وفرق الدهر شملا كان يجمعنا ... فما لذا الدهر مغرى بالمحبينا
من مبلغ الفجر اذ قامت نواديه ... أنا بجنح الدجى ينعاه ناعينا
كانت ليالي الهوى تفتر ضاحكة ... عنه فبتنا عليَّ اليوم يبكينا
وكان فيه جمال من نضارتنا ... وفي محياه صفو من تصافينا
أيام لم ندر أن البدر حاسدنا ... على الهوى وضياء البدر واشينا
تدور في كأسنا صرف مشعشعة ... من وردة الخد حينا واللمى حينا
والنجم في نشوة مما ينادمنا ... والحلي في طرب مما يغنينا
يا حاجة النفس لا تصفى لذي حسد ... فما لقينا من الأيام يكفينا
كأنها لم تصنا في جوانحها ... ولم تكن بسواد القلب تفدينا
ولم تبت ليلة كالروض حالية ... تجنى بها من صنوف اللهو ماشينا
والبين ظمآن لم تحسب عواذلنا ... ان الدموع ستروبه وتظمينا
وحادث الدهر واش لا نحاذره ... وما تلهى وكنا عنه لاهينا
فيا ليال ذكرناها واكبدنا ... مقطعات عليها في حوانينا
قد سال بعدك ما كنا نكفكفه ... وجاذبتنا النوى من كان يسلينا
لا في الاسى راحة مما نغالبه ... من البعاد ولا نغني بأسينا
اذا نسيم الصبا رقت جوانبه ... على متون الروابي راح يصبينا
تهيج رياه من ذكرى الديار هوى ... وربما ذكروا بالمسك دارينا [1]

(١) دارين بلد مشهور بالمسك

ما فيه الا سجايا العاشقين الى الـــــغيد الا وانس والعتبي افانينا
وكم ينم بانفاس تحملها ... فيها الحياة ولكن ليس يحيينا
سلي الظلام اذا شابت ذوائبه ... من هول ما بت القى في تنائينا
ألاحت الشمس تغرى العاذلين بنا ... كليلة الطرف ام راحت تحيينا
لقد عدتنا عوادينا وكيف بنا ... اذا عدتنا عن اللقيا عوادينا
نبيت والهجر في الآفاق ينشرنا ... كأننا لم نبت والوصل يطوينا
قالت رأيتك مجنوناً فقلت لها ... لولا هواك لما كنا مجانينا
يا طلعة الشمس غابت بعد ما طلعت ... وظبية القاع لم ترجع لوادينا
هل شاغلتك عواد ما تشاغلنا ... وبات يلهيك انس ليس يلهينا
ان كان سهلا على الله تفرقنا ... فليس صعباً عليه ان يلاقينا

وقال

بالله ياسحر العيون ما ترى ... قلبي غدا من عينها مسحورا
ذات محيا هو فينا جنة ... قد خلقت فيها العيون حورا
صيرني مذ حجبوها كالذي ... أخرج من جنته مدحورا [1]

وقال

أأخشاه جفنا ما تسل قواضبه ... وحد حسامي ما تفل مضاربه
فأين يدي هاتيك والسيف في يدي ... وما لفؤادي أنكرته جوانبه
ومالي كأن الكهرباء تمسني ... اذا لاح ذاك البدر او نم حاجبه
أروني فؤادي كيف صدعه الاسى ... وكيف تولاه الهوى ومصائبه
اذا كان قلبي لا يصاحب همتي ... فما هو لي قلب ولا أنا صاحبه

(١) المدحور المطرود والتلميح في البيت ظاهر

ركبت لحيني في (الترام) عشية   أري الفلك الدوار لاحت كواكبه

وأحسبه قلباً يجاذبه الهوى   فينقاد لايدري بما هو جاذبه

فلاحت لعيني من زواياه غادة   هي البدر لكن أطلعته مغاربه

تبسم أحياناً وتعبس تارة   كما يخدع الواهي القوى من يحاربه

وقد كتبت فوق المحاجر آية   يطالع فيها الحب من لا تخاطبه

فلما رآها القلب آمن واغتدى   يكاتبها في أضاحي وتكاتبه [1]

فما انا الا والهوى يستفزني   الى حيث سلطان الهوى عز جانبه

فقمت قيام الليث فارق غيله   وقد حطمت انيابه ومخالبه

وسلمت تسليم البشاشة والهوى   تدب على اطراف قلبي عقاربه

فأغضت حياء ثم عادت فسلمت   ومن بعد كدر الماء تصفو مشاربه

فلله ما احلى حديثاً سمعته   كأني يتيم لاطفته اقاربه

هو الخمر لولا طعمها وخمارها   هو السحر لولا ذمه ومعائبه

فقلت عرفت الحب والله انه   مطالب قلب لاتحد مطالبه

فقالت بلى ان شئت زدتك انه   نوائب دهر لاتعد نوائبه

فكاشفتها مابي غراما مبرحا   يغالبني فيه النهى واغالبه

وقلت أرى ذا القلب جن جنونه   وإلا فما ذا في ضلوعي يواثبه

فهزت قواما كالرديني مشرعا   وحين احسن الشعر ماجت كتائبه

واعجبها ما قلته فتضاحكت   كأني طفل في يديها تلاعبه

وقد كان صدري اطفأ اليأس نوره   فأصبح مثل الليل طارت غياهبه

وقالت اخاف الناس فالناس في الهوى   لئيم نداري او عذول نراقبه

(١) لا شك في ان هذا الفرع من التلغراف بلا سلك

وعادت تروع القلب لم تدر انني   شديد مناط القلب صلب ترائبه

ولما رأتني هائماً غير هائب   سواها وقدماً ضيع الصيد هائبه

تولت وقالت تلك عاقبة الهوى   وبعد صدور الامر تأتي عواقبه

فغادرت قلبي في (الترمواي) وحده   ينادي ولكن من عساه يجاوبه

وعشت بلا قلب وعفت هوى الدمى   ولا يردع الانسان الا تجاربه



الباب الخامس

في الاغراض والمقاطيع

وقال

يتوسل بصاحب الشفاعة العظمى صلى الله عليه وسلم وهي من أول قوله

ابت عيناك الا ان تصوبا ... وهذا القلب الا ان يذوبا
فما لك تحذر الرقباء حتى ... هجرت النوم تحسبه رقيبا
وقام عليك ليلك في حداد ... يشق على مصائبك الجيوبا
ورب حمامة هبت فناحت ... تنازعني الصبابة والنحيبا
أساعدها وتسعدني نواحا ... كلانا يا حمامة قد أصيبا
دعي هم الحياة لذي فؤاد ... فما ترك الغرام لنا قلوبا
ولا تنسي اخاك وما يعاني ... اذا ما كان في الدنيا غريبا
فان المرء ينسى ان تناءى ... وتذكره صحابته قريبا
رعاك الله هل مثلي محب ... وقد أمسى (محمد) لي حبيبا
شفيعي يوم لا يجدي شفيع ... وطبي يوم لا أجد الطبيبا
وغوثي حين يخذلني نصيري ... وغيثي ان غدا ربعي جديبا
وآمن في حماه ريب دهري ... وحادثه وان أمسى غضوبا
وأذكره فيفرج كل خطب ... ولو كانت رؤاسيها خطوبا

رسول الله جئتك مستغيثاً ... وجودك ضامن ان لا أخيبا
متى تخضر ايامي وتزهو ... ويصبح عود آمالي رطيبا
فقد ضاقت بي الدنيا وهبت ... فجائعها على قلبي هبوبا
ومالي غير حبك من نصير ... فعل من العناية لي نصيبا

وقال (في الشكوى)

غير قلبي أراه يستطيع صبرا ... وسوى علتي من الحب تبرى
انا لم يبق بين جنبي الا ... كبد من لوعة الشوق حرا
فدعوا اللوم انما هو لؤم ... وقديما ولدت والعين عبرى
ما عليكم من الغرام اذا ما ... كان حلو المذاق أو كان مرا
ان تكن تصغر المصائب فالنفـ ... ـس ترى فيكم المصائب كبرى
كرجال الوباء في طلعة الطا ... عون أيام زلزل الويل مصرا
سفهاء كمثل ما افتضح العر ... ض لئام كالعسر لم يبق يسرا
والذي اثقل الرواسي اني ... لأرى ظلكم على الارض صخرا
لا يغرنّ من يلومني الصمـ ... ـت فاني رأيت في الصمت أجرا
واذا قال من كريم سفيه ... فأقيموا له السفاهة عذرا
ليت هذا الزمان يرجع يوما ... من زمان الصبا ويأخذ عمرا
يوم كان الفؤاد كالروضة الغنـ ... ـاء تجني يد الهوى منه زهرا
والليالي كالطير ناحت فخلنا ... ها تغنى وهن يبكين قسرا
والأماني على الهوى حائمات ... مثل سرب القطا اذا جئن نهرا
كم ارجى من الزمان أمورا ... لم ينلني الزمان منهن أمرا
واذا هم ان تنولني يمـ ... ـنى يديه همت بسلبي يسرى

أنا يا دهر لم أسئ لك يوما   فلماذا أساءني الهم دهرا
قد أراني مما تحمل صدري   لو أتاني السرور لم يلق صدرا
ولعمري لم أمش في الارض الا   قام بي أن تحت رجلي قبرا
يانجوم السماء مالك تزهيـ   ـن كلانا قد بات يعشق بدرا
إن تعيني على هموم الليالي   فاحملي شطرها وأحمل شطرا
أجد الهم كلما نقصته   ساعة بالرجاء زادته أخرى
وبنا حسرة ترج لها الار   ض فهل أنت في سمائك حسري
ما على من هويت لو حمل البر   ق سلاما واستودع الريح سرا
هو أدرى بما أحاول منه   وأنا بالذي يحاول أدرى
ألف الصد والتجافي غدرا   وأذى الصب والتجني كبرا
من يحييه والنسيم اذا هـ   ـب جفاني والصبح أطول هجرا
وصحابي اذا افتقرت اليهم   زادني الاغنياء عني فقرا
خلق الله ذا الجمال متاعا   غير ان الجميل بالتيه مغرى
وأرى الصد لذة وشقاءا   ومن النفع ما اذا زاد ضرا
فاحذري يانجوم بدرك إني   أجد الحسن صار في الناس غدرا

وقال أيضاً

رأيت في الناس كل شيء   تحار في كنهه العقول
جميلهم فعله قبيح   وكم قبيح له جميل
ويصطفى المرء الف خل   ولا يفي منهم خليل
فلا تحاول لهم رضاءاً   ان رضاء الناس مستحيل

وقال

نوب تغدو على نوب   تقطع الايام في طلبي
ليت شعري وهي معجلة   أي ذنب لي سوى أدبي
أقبلي يا نائبات فما   هذه الدنيا سوى تعب
واثبتي للعمر آونة   فليالي العمر في هرب
عجبي والناس ان فطنوا   وجدوا دهري أبا العجب
كم ليال قد لعبت بها   وغدت من بعد تلعب بي
كعهود الغيد ان صدقت   فقصاراها الى الكذب
والذي يمضي على لعب   سوف يلقى حسرة اللعب
يا زمان الهجر كيف لنا   بزمان الرسل والكتب
وليال كالصبا سلفت   إن يؤب عهد الصبا تؤب
كم قطعناها على كلف   في رضا حلو وفي غضب
آه ليت العين ما نظرت   ودموع العين لم تصب
ان هذا الحب غادرني   ليس لي في العيش من أرب
كلما أفلت من كرب   ساقني قلبي الى كرب

وقال

هجرتني الملاح من غير ذنب   وأعانت علي دهري الملاح
قاتلات النفوس حرمها اللـ   ـه ولكن لاجلهن تباح
وتمادين في عذابي حتى   ما لليلي من بعد ليلي صباح
يافؤادي اصطبر فان هي الا   غدوة بعدها يكون الرواح
كم أناس يصدعنهم أناس   جمع الموت بينهم فاستراحوا

(وكتب في رسالة)

أيا ضلوعا قلبها وامق   وياعيونًا طرفها رامق

من لفؤاد طاهر جره   الى الغرام النظر الفاسق

واستبطأ كتب بعض اصدقائه وكان قد وشي به عنده فكتب اليه

علم الله انني بك صب   ولذكرى حماك ماعشت اصبو

يا حليف الوفا امالي عذر   يغفر الذنب ان يكن لي ذنب

قد سعوا بي اليك بالعيب فالعيـ   ـب وما لي سوى المحبة عيب

وارادوا ان يلزموا القلب صبراً   لهم الويل هل لذي الحب قلب

اتخذت السحاب دارك في الجـ   ـو فليست تجيئنا منك كتب

أم ثما أوجب القطيعة والبغـ   ـضا وقلبي كما عهدت محب

لو سألت النسيم عني لأمسى   بزفيري على حماك يهب

او أذنت السحاب ان تذكر الدمـ   ـع لباتت من الدموع تصب

او تعرضت للحمام بذكري   طال منه على جفائك عتب

سقمي قاتلي وانت طبيبي   مالسقمي سوى رضائك طب

وكتب الى مخلف وعد

يا مخلف الموعد كم   تكذب فيما تنطق

اصدق ما وعدتني   انك لست تصدق

(وكتب الى صديق)

مالي اراك مغاضبا   من غير ذنب كان مني

فاذا كتبت اليك معـ   ـتذرا احلت على التجني

ما كان ظني يا أخي   أن سوف يخطئ فيك ظني

(وكتب الى من ظن به خيرا فلما بلاه اذا هو لاخير فيه)

كنت ارجوك ان تعين على الهـ   ـم اذا أنت للهموم معين

ثم أصبحت بالوداد جواداً   وفتى الجود بالوداد ضنين

فاذا كنت قد ظننت غروراً   انما انت جوهر مكنون

فبهذي الفعال والخلق السو   ء تبينت أن أصلك طين

وقال

يداعب صديق له يخبره بالامر التافه ثم ينساه ويعود بعد أيام فيخبره به على وجه آخر وهكذا

لي صاحب حديثه فضول   تمجه الاذان والعقول

ولم يزل من دابه الذهول   فهو كمثل الظل اذ يجول

منبسطاً في حيثما يزول   وهو اذا اصغى له الخليل

كالببغا تعيد ماتقول

وكان يوما متكدراً فلقيه بعض اصحابه فضحك اليه فسأله صديق آخر عن ذلك فقال

لم ينكشف همي ولكنني   اريهم ما عرفوني به

كذي هزال خانه جسمه   فاستافت الناس الى ثوبه

وربما كان الفتى باسما   وكان كل الهم في قلبه

ومن رأى ذاته صحبه   فربما هان على صحبه

وقال

الاصدقاء قليل   والحر فيهم أقل

والناس كهل غني   وذو شباب مقل

فلاترى الشيخ يقوى   ولا الفتى يستقل

وقال

أصبحي ياهموم فينا وبيتي   مالهم على الرضا من ثبوت
قد بلونا الصدود حتى ألفنا   ه كالف العيّ طول السكوت (١)
وغدونا مع الزمان كما شا   ء وشاءت فواجع التشتيت
تترامي بنا رياح الرزايا   كل يوم ترامي العنكبوت
لارعى الله من يحب على الغد   رأغنا أو ذات حلي صموت (٢)
وحرام يانفس أن أحفظ الود   اذا ما أضاعه من هويت
لغير قلبي لغير من يحفظ القلب   سواء أبيت ذا أو رضيت
فاذا ما الحبيب أعرض عني   فاهجريه هجر الطلاق البتوت (٣)
واطلبي جانب الفخار وأعلى   مابناه الجدود لي أو فوتي

وقال

أرهف سيوفك يادهر قد عرفت محزى (٤)
فلست أرجو لذلي   من كادني يوم عزى
وكم حبيب فقدنا   فلم نجد من يعزى

وقال

وأغيد قلنا له هاتها   فقال ماهاتى ومعناها

---

(١) العي الذي لا ينطق من الحصر (٢) يوصف حجل المرأة الممتلأة وسوارها بانهما صموتان قال النابغة

على ان حجليها وان قلت أوسعا   صموتان من ملء وقلة منطق

والاغن من كان ذاغنة في صوته (٣) الطلاق البتوت الذي لا رجعة فيه
(٤) المحز مكان الحز من الذبيح

كأنما ليس لنا أضام   على هواه قد طويناها
ولم تكن في خده وردة   تزيد حسناً ان قطفناها
قلنا له تلك اذن قبلة   كل محب قد تمناها
فلم يزل يمنعنا خده   ولم نزل حتى أخذناها

وقال

(في مليحة تبيع الليمون المعروف باليوسف أفندي)

غانية كرونق الفرند   لحاظها مثل سيوف الهند
وشعرها جند ولا كالجند   تعلمت بطيء الخطى من فند (١)
وعندها صبابة وعندى   لوصوروا بنان ذاك الزند
لصوروني فيه (يسففندي)

وقرأ اعلانا نشرته بعض غادات اليابان في احدى جرائد بلادها تصبي الشبان وتذكر صفة من تهواه منهم فقال بعض أصحابه ليس مايمنعني الا بعد الشقة وكان ذلك أيام محالفة انكلترا لليابان فقال (٢)

---

(١) الخطى جمع خطوة وفند هذا يضرب به المثل في الابطاء وهو غلام كان لعائشة بنت سعد بعثته ليجيء بنار فخرج فلقي عيرا خارجا الى مصر فخرج معهم فلما كان بعد سنة رجع فاخذ نارا ودخل على عائشة يعدو فسقط وقد قرب منها فقال (تعست العجلة) ....
(٢) اسم هذه الغادة «هوزويجوش» وهذا تعريب اعلانها نقلا عن جريدة المؤيد الغراء قالت
«انى امرأة قد بلغت الدرجات القصوى من الجمال . ولى شعور مسترسلة»
«على الكتفين وتشبه فى تموجها السحاب في يوم صافي الاديم . ولي قد يزري»
«بغصن البان في قوامه وانعطافه . وحاجبان كالهلال اذا طلع من مطلعه فتطاولت»
«اليه الاعناق . وعندى من المال الوفير . والخير الكثير . الكفاية لان اعيش مع»
«من أحبه في أتصال دائم . وارتباط وثيق . نرقب الفجر في الليل . ونسرح»

صبا للقصور وغزلانها ... وتلك الليالي وأشجانها
ليالي تجري جياد الهوى ... الى الغانيات بفرسانها
وتبعها خطرات القلوب ... لمرعى صباها برعيانها
فهل علمت حادثات الزمان ... اساءتها بعد احسانها
رأينا ليالي أفراحها ... تجر ليالي أحزانها
وكم حاربتني عيون المهى ... وحاربت أعداء سلطانها
فردت سيوفي وتلك اللحاظ ... لاغمادها ولأجفانها
أبعد الوصال وبعد الوداد ... تروع الغواني بهجرانها
وتطرح شأنك عن همها ... وتصدق عنك الى شأنها
فلا تستنم لنؤم الضحى ... ولا ترج برة أيمانها (١)
ولا تغترر بالتي خلتها ... تسر الغرام (باعلانها)
تعلمت الود بعد النفور ... من خاطبي ود (يابانها) (٢)
فدع غصن البان في أرضه ... اذا ظللتهم بأغصانها
وجنب فؤادك نار الهوى ... اذا ماحمتهم بنيرانها
فما العز في حجرات الكعاب ... ولا في الرياض وريحانها

«الانظار في الازهار . طول النهار فاذا وجد من بينكم معشر القراء شاب رقيق»
«الحواشي . زكي الفؤاد . متعلم جميل سليم الذوق . فانني اكون سعيدة الحظ»
«اذا اتيح لي أن ادفن بجانبه في قبر من المرمر الوردي» اه
والمحالفة المذكورة هي محالفة (٣٠ يناير سنة ١٩٠٢) المشهورة

(١) استنام الى صاحبه سكن اليه ويصف العرب المرأة المترفهة بانها نؤم الضحى لانها تظل نائمة حتى يضحي النهار وعندهم ان الكسل محمود في النساء

(٢) كانت انكلترا في عزلة فلما حالفت اليابان قيل انها خرجت من عزلتها الفاخرة

ولا في الشعور كموج السحاب ... اذا ماتراخت على بانها
ولا في الحواجب مثل الهلال ... ولا في العيون وأجفانها
ولا هو في طلعة النيرين ... ولا في النجوم وكيوانها
ولا في جمال زهور الرياض ... اذا اختال في ثوب نيسانها (١)
ورتل مما شجاه الحمام ... أفانين شجو بأفنانها
وما السيف من غير ابطاله ... وما العين من غير انسانها
وهل ترتقي صادحات الطيور ... من الجو مرقاة عقبانها
علاك أحق بهذي الليالي ... من الغانيات بريعانها (٢)

وقال (في صغيرة تتعلم الكتابة في كتاب)

كتبوها مثل الحواجب نونا ... وأروها قوامها في الكتاب (٣)
ثم ما زالت المشايخ حتى ... علموها الدلال في الكتاب

وقال (في هيفاء تمشي على الحبل في تياترو)

طلعت والظلام يحسده الصبـــــح فخلنا في الارض شمس السماء
ورأت اكبد الورى في ثراها ... فمشت من دلالها في الهواء

(ورأى راقصات فاعجبه ما رأى فقال بديها)

ياشموساً طلعت في الغلس ... ما عليكن من المختلس (٤)
درن في افلا ككن دورة ... تكشف الريب عن الملتبس

(١) نيسان من الشهور الرومية وقد مرت (٢) ريعان الشئ أوله وريعان الليالي زمن الشباب

(٣) اي مثل قوامها وهي الالف

(٤) الغلس الظلام

وترفقن بصب مدنف   يتلظى قلبه كالقبس

ظنه عاذله ذا جنة   أذكرت من أمر قيس مانسي

واذا ظنوا الغرام هوساً   فانا رب الهوى والهوس

قد شجتني انة العود فلم   يبق مني غير رجع النفس

اترى ايديهم تلمسه   أم ترى يعشق ذات (الملس)

ورأى احداهن وقد تأودت حتى لم تر الاعين الا سواد شعرها المترامى على اعطافها ثم لم يزل قدها بعد ذلك يتقوس حتى لاح للناظرين بدر وجهها فقال

مالت دلالا فارتمى شعرها   كالليلة الظلماء أو شبهها

فلم نزل نرقب بدر الدجى   حتى تجلى البدر من وجهها

وقال يقص حادثة غرامية

نفرت والظباء ذات نفار   وتجنت عليه ذات السوار

لم يكن يعرف الهوى فرآها   ورأى (زهرة الهوى) في الازار [1]

ورنت عينها اليه بأن لا   تتبعنا فمر في الآثار

(١) الزهرة احدى الكواكب السبعة السيارة وكان القدماء يعتبرونها الهة واختلفت خرافاتهم في اصلها . وحكى سيسرون في كتابه حقائق الآلهة أن أقدم زهرة هي بنت الفلك وآلهة النار وقال انه يوجد هناك زهرة أخرى متولدة من زبد البحر ولدت من زوجها عطارد ولداً وزهرة ثالثة وهي بنت جوبيتر وقد ولدت من المريخ ولداً ورابعة تزوجت أدونيس وقيل ان هناك زهرة خامسة علوية وهي آلهة المودة الصادقة وسادسة تسمى ونيوس وهي آلهة المحبة الشهوانية وسابعة تسمى « ابوستروفيا » ومعناه التي تصرف القلوب عن صدق المودة . ولكن المشهور عند الناس ان الزهرة آلهة الهوى .

يتوارى عن العيون وان لم   يك عن كاتبيه بالمتواري

ويدور الهوى بلحظيه ما بيـ   ـن يمين تخوفا ويسار

وهي تختال كالغصون اذ ما   ل بهن النسيم في الاسحار

أو مهاة النقا اذا رأت القا   نص لكنها بغير انذعار

يحسب الناس طيبها نفس الصبـ   ـح على زهر روضة ممطار

ويظنونها من الحور لولا الحو   ر محجوبة عن الابصار

ويخالون وجهها قمر الافـ   ـق على ما بأوجه الاقمار [1]

ويقولون فتنة قد براها الـ   ـه سبحانه فجل الباري

خطرت تخطف القلوب وقد سلـ   ـت سيوفاً من لحظها البتار

في دلال تجر مثل الطواويـ   ـس على عجبهن فضل الازار

والثرى كله قلوب ضعاف   خشيت صولة الهوى الجبار

{ والفتى يتبع الفتاة) وقد أمـ   ـسي بما مس قلبه غير دار

ورأى قصرها فطار وطارت   وادعى وادعت حقوق الجوار

واتته يلوح في وجهها البشـ   ـر وحيت تحية استبشار

يثني خلفها من الخرد العيـ   ـن رياحين طبن كالازهار

هن ربات كل ذات جمال   ولها وحدها خلقن جواري

فنشرن الكؤوس وانبعث اللهـ   ـو وقامت قيامة الاوتار [2]

(١) يرى في وجه القمر شيء كالكلف تفنن الشعراء في تعليله وقد اكتشفوا حديثاً انه صورة وجهين متقابلين

(٢) لا نرانا في حاجة الى التنبيه على ما أودعه هذا البيت من البلاغة ولكننا نؤاخذ على اغفال الاشارة البديعية التي في قوله (وانبعث اللهو) فكل ما كان لهواً وجاز ان يكون في ذلك المجلس تحتوي عليه هاتان الكلمتان

وحكى صوتهن أصوات داو   د فهبت سواجع الاطيار [1]
وتراخي الظلام فانفجر الصبح   وسالت ذكاء سيل النضار
وبكي الغيد رحمة لفتاهن   ولكن بمدمع غير جاري
ثم ودعنه فقام حزينا   ينثني بين ذلة وانكسار
ولو أن الهوى يمس قلوب الاسـ   ـد ذلت نفوس تلك الضواري
لا وذات السوار ما نقض العهد   ولا خانه لا وذات السوار
صان اسرارها وباحت بما في   صدرها من ودائع الاسرار
وأصاخت الى الوشاة فلجت   في التجنى ولج في الاعتذار
واستعار الزمان أيام ذاك الا   نس والدهر لا يرد العواري
ونأت دارها فبات بلا قلب   ولا مسعد سوى (التذكار)
وجفون المحب يوم تراه   في ديار وقلبه في ديار

وقال في « شيخ هرم خطب فتاة ناعمة الصبا فاغلظت له في الرد »

جاءها خاطباً وبين يديه   قام عزريل واعظا وخطيبا
وتصدى لها فصدت وقالت   قبح الشيخ أن يكون حبيبا
قال هذا المشيب نور فقالت   أوقدوا في السراج هذا المشيبا [2]

(١) يقال ان داود عليه السلام كان اذا رتل المزامير في البرية هبت اليه الطير افتتاناً بصوته ولا يخفى حسن التعليل هنا

(٢) ليس في الشيخ من الفضائل الا أن مشيبه نور ووقار كما جاء في الأثر وانه عصر دهره بعد ان عصره دهره فكان هذا الشيخ يدل عليها بفضائله وهذا عيب ثان فيه يدل على جهله ومما يناسب هذا ان شيخاً شاعراً رأى فتية فاعجبته فخطبها فردته فبعث اليها ببيتين يقول فيهما انه وأن كان قد شاب الا ان عزمه لا يزال فتى وانه مع ذلك لأديب فقالت له « لسنا نريدك لنوليك ديوان الزمام ... » أي ديوان الحسابات

قال اني أبو العجائب قالت   وعجيب أن لا تكون عجيبا
يا أبا الهول يا أخا الهرم الاكـ   ـبر حسبي فقد كفاك عيوبا [1]
يا نذير الممات يا وجعة القلب   متي كنت للقلوب طبيبا
أنت كالبدر غير انك ممحو   ق وكالشمس أوشكت ان تغيبا [2]
وجدير بمن يؤمل في المو   ت حياة يحيي بها ان يخيبا

وقال (يذكر خطرة قلب ويصف خمول قومه)

يشكو الى ثغره من حر أنفاسي   وما بنفسي الا لوعة الياس
وينظر القلب مجروحاً بناظره   ولا يرق لقلبي قلبه القاسي
جرح الحسام له آس يطببه   ولست ألقى لجرح اللحظ من آس [3]
فان يك الحب أن أحيي بلا أمل   فقد قطعت من الامال أمراسي [4]
وان يكن مثلي العشاق قد هجروا   فأين ميل قلوب الناس للناس
وأين ذو كبد يرثي لذي كبد   كأنما انضجوها فوق أقباس [5]
اني لأنظر أجناساً منوعة   وكم يضيع جنس بين أجناس
وقد أراني في قوم أولي كسل   كأنما انتفضوا من تحت أرماس [6]
فبعضهم بين أخفاف الهوان هوى   وبعضهم ضل بين الكاس والطاس
لو كان منهم كليب يوم نكبته   لعاف طعن كليب رمح جساس [7]

(١) يبلغ عمر الهرم الاكبر اليوم فوق الاربعة آلاف سنة وذلك قابل في جانب عمر صاحبنا بالنسبة الى عمر الفتاة . والتورية ظاهرة

(٢) هذا تأكيد الذم بما يشبه المدح

(٣) الآس الجراح (٤) الامراس الحبال (٥) الاقباس جمع قبس وهي الجذوة من النار (٦) الارماس القبور (٧) كان كليب بن ربيعة سيد قومه وهو الذي يقال فيه أعز من كليب وائل وكان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى

وقال

الشرق سوق الغرب لكنها — لا يشتري منها سوى البائر

باع بنوها بعضهم بعضهم — والويل للرابح والخاسر

وقال (في الصحافة في الشرق)

كم ملؤا الجو بصيحاتهم — وطاولوا النجم بلا طائل

وسيروها صحفاً بعضها — عن بعضها في شغل شاغل

تحتشد الاقلام فيها كما — يختلط الحابل بالنابل

وتجمع الحق الى خصمه — وليتها تقضي على الباطل

رأيتها كالعضب اما نبا — فالذنب في ذاك على الحامل

وقال (واكثر ماتجد في مصر من وصف)

أرى نساء بني قومي ويا أسفا — في السنهن سهام لسن في الحدق

حماه ويجير على الدهر فلا تخفر ذمته ويقول وحش أوض كذا في جواري فلا يهاج ولا تورد ابل احد مع ابله ولا توقد نار مع ناره وكانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهامة وكانت بسوس خالة جساس بن مرة نازلة في بني شيبان ولها ناقة يقال لها سراب فمرت بها ابل كليب فنازعت عقالها حتى قطعته واختلطت بالابل حتى انتهت الى كليب وهو على الحوض فلما رآها انكرها فاشتد عليها بسهم فخرم ضرعها فنفرت الناقة وهي ترغو فلما رأتها البسوس قذفت خمارها وصاحت واذلاه واجاراه وخرجت فأحمست جساساً فركب فرسه وأخذ آلته ودخل على كليب الحمى فقال له ياأبا الماجدة عمدت الى ناقة جارتي فعقرتها فقال له أتراك مانعي ان أذب عن حماي فأحمسه الغضب فطعنه جساس فقصم صلبه ٠ وكان من عادة العرب ان لا يأخذوا بثارهم من لئيم الحسب قال الحكم بن زهره

قوم اذا ما جنى جانيهم أمنوا — من لؤم أحسابهم ان يقتلوا قودا

كانما من بني تيم بعثن لنا — لو لم يكن قباح الخلق والخلق [1]

وقال موريا

وذي دلال قال خذ في المنى — فقلت عيش رغد سائغ

(ويوم وصل) قال حسبي اذن — هذا كلام في الهوا (ى) فارغ

وقال

لي أمل فيك انقضى بعضه — وبعضه الآخر لم تقضه

فان تكن حات فياربما — يشفع بعض الحب في بعضه

وقال

يامن يرى أنني بخلت بما — عندي عليه فلست ذا وجد

كفاك بالنفس وحدها هبة — فان نفسي اعز ماعندي

وقال

اذا غبت عن أعيني لم أجد — سواك تقر به أعيني

وما فقد الحسن لكنما — تميل الطباع الى الاحسن

وقال مضمنا

مشى فكأن الغصن تهفو به الصبا — وللعطر منه في رداء الصبا نفح

---

(١) كانت لنساء بني تيم حظوة عند أزواجهن على سوء أخلاقهن لما اتسمن به من الجمال ومن طرائفهن أن أم سلمة بنت محمد بن طلحة كانت تحت عبد الله ابن الحسن وكانت تقسو عليه قسوة عظيمة ويفرق منها ولا يخالفها فرأى يوماً فيها طيب نفس فأراد ان يشكو اليها قسوتها فقال لها يابنت محمد قد أحرق الله قلبي فحددت له النظر وجهمت وجهها وقالت له احرق الله قلبك ما ذا تخافها فلم يقدر على ان يقول لها (سوء خلقك) فقال لها « حب ابي بكر الصديق ٠ »

ومر وعن جنبيه صفا عواذل (كخطي ظلام شق بينهما صبح) (١)

وقال عن لسان انسان

أيها الحب أمانا لم أعد أهوى حبيباً
ان للولدان (يوماً يجعل الولدان شيباً)

وقال (وهي من أول القول)

هل لذا الجفا سبب أم صدوده لعب
أم ذكاء ما برحت تجتلي وتحتجب
أم غدا كمشبهه البـــدر ليس يقترب
شادن لاعينه أنفس الورى سلب
ان يعد فليس يفي والهوى له أدب
يحكم الملاح على الصـــدق انه كذب
وانتمى الجمال له فهو للجمال أب
وهو من تدلله هاجر ومصطحب
وهو من ملاحته سافر ومنتقب
كل أمره عجب وكذا الهوى عجب
ياليالياً سلفت هل تعيدك الحقب
والرياض حالية للسماء تنتسب
وهو بين أكوسها البـدر حوله الشهب
نجتليها عابسة باسما لنا الحبب
كالعروس قد حجبت وهو دونها حجب

(١) هذا عجز بيت لكشاجم وصدره « وقد حسرت عن واضح الفرق قاحم »

أبطأوا بزفتها والزفاف مرتقب
أو كخد أغيد لو لم يسل بها العذب
أو كأنها شفة عضها فتى وصب
أو كدمع ذي كلف بالدماء ينسكب
أو كقلب ذي حسد ما يزال يلتهب
ان اثمها جذبت معطفي فينجذب
ينبري لها رشاء هز عطفه الطرب
في القلوب مختبئ للقلوب مختلب
خده بحمرتها كالبنان مختضب
لا أرى له غضبا آفة الرضا الغضب
تلعب المدام به كلما احتسى يثب
وهو منها في ضحك وهي منه تنتحب
أكرم السقاة سقى أكرم الاولى شربوا
من كمثلي ان ذكروا من سما به الأدب
شيمة مخلفة نافست بها العرب
إنها المعادن لم يصد مثلها الذهب
ياضلوعي ما برح الـــقلب فيك يضطرب
دارت العيون به فهو بينها نهب
وانجلت لواحظها فانجلى له العطب
أعين يموج بها سحرها فينسرب
كم صرعن من أسد حين غالبوا غلبوا

في جفونها رسل   لم تجيء بها كتب

ويح من أحب أما   ينقضي له أرب

إن أراحه تعب   شف قلبه تعب

سنة جرت ومضت   طاعة الهوى تجب

وقال

ياناعس الطرف لم أشكو وتظلمني   رحماك ياناعس العينين رحماكا

لو أن غير فؤادي يشتكيك معي   لضجت الناس والدنيا بشكواكا

وقال

اتخذ باللهو لهوا   واتخذ بالروض روضا

ان يخن ظبي فظبيا   أو تضق أرض فأرضا

كلها آيات حسن   بعضها ينسخ بعضا

وقال

يا أنيسي ذر الحزين حزينا   بعض ما سامه الهوى يكفيه

دعه يبكي فذو الهموم جدير   أن مافي فؤاده يبكيه

وقال

أمسيت من يوم النوى فزعا   ويلي على يوم النوى ويلي

وأتى الصباح بكل داهية   فخرجت من ليل الى ليل

وقال

ما الحب الا أنس كل امرئ   لو كان يدري الناس ما الانس

ولو درى كل الورى فضله   لهام فيه الجن والانس

وقال في الحماس

الى البيض سورة هذا الجماح   وللسمر خفقة هذا الجناح

لحاني العواذل في حبهن   وهيهات من حبهن اللواحي

فما البيض الا طرار السيوف   ولا السمر الا عوالي الرماح

يرج بها الارض هذا الفتى   ويدمي عليها عيون البطاح

يجوب المعامع جوب الحمام   ويطوي المهامه طي الرياح

على اشقر كوميض البروق   تحفزه غلواء المراح

جريء على الليل مستجمع   يهب هبوب نسيم الصباح

تكاد لنشوة اعطافه   إذا مر تحسبه غير صاح

وقال (في هلال الشك)

هلال الشك لا تعجب اذا ما   رأيت كما ارى هرج الانام

فقد حسبوا نحولك من نحولي   فخيف عليك عاقبة الغرام

وقال

يا ليت قلبي لم يحب ولم يهم   بل ليتني ما كان لي احباب

اني رأيت أخا الغرام كأنما   صبت عليه وحده الاوصاب

لكن عين المرء مفتاح الهوى   فاذا رنا فتحت له الابواب

واذا اراد الله أمراً بامرئ   سدت عليه طريقه الاسباب

وقال

بنوا آدم اعداء   على السراء والضرا

فلا يغررك مبتسم   وان ابدى لك البشرا

ففي الصدر حزازات   تكاد تمزق الصدرا

ولو كادوا النجوم هوت　　من الخضراء للغبرا

وما الدنيا اذا فكر　　ت غير جهنم الصغرى

ألست ترى بها أمماً　　وكل تلعن الاخرى

لقد جربت اهليها　　فلم أر فيهم خيرا

ومثلهم لنا (الكفرا　　وي والصبان والفرا)

فعمرو ضارب زيداً　　وزيد ضارب عمراً

وقال

إن ضحك القوم على بعضهم　　فسوف يبكون على رمسه

من كان من اخوانه ضاحكا　　فانما يضحك من نفسه

وقال

(يهني نجل عمه الاديب الفاضل الشيخ سعيد عبد الرحمن الرافعي بكريمته عناية)

تبلج صبح الهنا مشرقاً　　ونورت الشمس افق (السرايه)

وقد زين السعد ابراجها　　على كل برج ترفرف رايه

وقامت بنات العلى خادمات　　فهذي تخيط وهاتيك دايه

وقالوا أبوها مثال الكمال　　فقلنا الكمال مثال الهدايه

وما هي الا (عناية) ربك　　فابق (سعيداً) بهذي العنايه

وقال أيضاً

يهني صديقه الفاضل الشيخ عامر خليفه من اعيان اغنياء البارود بنجليه النجيبين

رأيت نجليك فارقدي أفق　　وما جميع النجوم اشباه

كلاهما في علاك طالعه　　وفي جبين السعود سيماه

لو خلق المجد كالانام لما　　كان سوى ناظريك عيناه

فاهنأ وباه السما وانجمها　　بالفرقدين رعاهما الله

(وقال في اللباس الافرنجي الاسود المعروف بالرسمى)

يا حسن ثوب للدجى مشابه　　كأنما فصل من إهابه

يحسر الشيخ على شبابه　　أزهى به وكنت لا أزهى به

كأنني المليك في اصحابه　　منذ رأيت الناس من طلابه

وكلهم من جاهل ونابه　　يرون قدر المرء في ثيابه [1]

وقال

ارى المعدم المسكين في الناس هالكا　　وما حيلة العرجاء بين المزاحم

كأن لم تكن حواء في الناس أمه　　ولم يك بين الناطقين ابن آدم

فقولوا لعباد الدنانير ويحهم　　الا ذكروا يوماً عبيد الدراهم

وقال

رأيت ذا الكون كله تعب　　سيان فيه الوجود والعدم

والناس كالنائمين ما لبثوا　　فكل ما يشهدونه حلم

أبدع ذات العماد مبدعها　　فاين راحت بأهلها إرم [2]

وقال

كل امرئ كلف بحب طباعه　　لا يستطيع عن الطباع سلوا

فاذا وثقت من الحبيب فربما　　تجد الحبيب قد استحال عدوا

---

(١) دخل الاحنف بن قيس علي معاوية ومعه النمر بن قطبه وعلي النمر عباءة قطوانية وعلي الاحنف مدرعة صوف وشملة فلما مثلا بين يدي معاوية اقتحمتها عينه فقال النمر يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها ٠ أما اليوم فقد جهلت هذه الكلمة حتي صار قدر المرء في ثيابه ٠

(٢) يريد مدينة ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها في البلاد وأمرها مشهور

وقال (في الشتاء)

أيا ضيفا أطال المكـــــث حتى قبح الضيف
لقد خطوا لك السوآ ت حرفا بعده حرف
واقدامهم الاقلا م والارض هي الصحف
وكم زلزلت دورهم (نخر عليهم السقف) [1]
لئن يصف لنا يوم فأيامك لا تصفو
وقد مات ذووا الكافا ت والندمان والقصف [2]
وبات الناس من أرضا ه يوم ساءه ألف

وقال (يداعب أعور متكبراً)

ما بال أنفك هذا قدشمخت به الى السموات حتى جاوز القدرا
لولا خشيت اذا ما كنت رافعه من أجل واحدة أن يفقأ الأخرى

وقال (في بخيل)

نقص البخل ويوم أتى قيل ان البخل قد كملا
لو رآه اهل مرو اذن ضربوه بينهم مثلا [3]

---

(١) اقتباس واكتفاء من قوله تعالى «نخر عليهم السقف من فوقهم وآتاهم العذاب»
(٢) كافاة الشتاء مشهورة في قول ابن سكره

جاء الشتاء وعندى من حوائجه سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا بعد الكباب ...... وكسا

وبعضهم أبدلها بصادات وبعضهم قال

اذا صح كاف الكيس فالكل حاصل لديك وكل الصيد يوجد في الفرى

(٣) مرو مدينة اشتهر اهلها بالبخل المفرط ويقال أن من عادتهم اذا ترافقوا في سفر ان يشتري كل واحد منهم قطعة لحم ويشبكها في خيط ويجمعون اللحم كله

وقال

لكل امرئ اجل منتظر ويبقى من الذاهبين الأثر
يردده الناس جيلا فجيلا ويروونه زمراً عن زمر
ترى فيه نفس الفتى مثلما ترى في المرأة وجوه البشر
فذاك مرآته للنفوس وهاتيك مرآته للصدر
وما الناس الاحديث يدوم فالخير خير والشر شر

وقال (واعظاً)

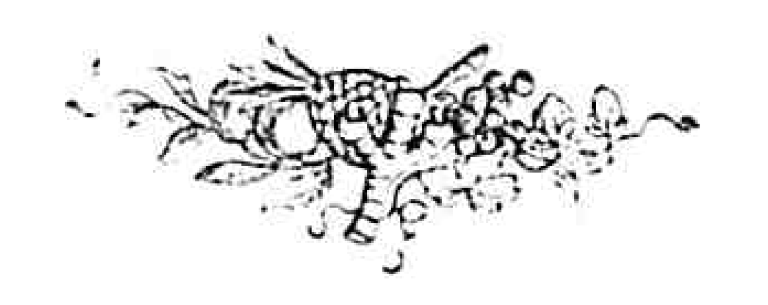
للموت قد خلق البنون وللردى خلق البنات
والموت أوسع للذي ضاقت به هذى الحياة

وقال (يتمنى) [1]

أتمنى وكيف لا أتمنى ان لي في الانام خلا وفيا
وفؤاداً مطهراً يلمح الدهـــر واهليه راضياً مرضيا
ذاك والموت خالداً بعدموتي ونعيم الحياة ما دمت حيا

في قدر فيأخذ كل منهم بطرف خيطه حتى اذا نضج اللحم جر خيطه واكل قطعته وتقاسموا المرق

(١) قال بعض الحكماء الامل رفيق مؤنس ان لم يبلغك فقد ألهاك .



الباب السادس

في الرثاء (١)

قال يرثي الامير عبد الرحمن أمير افغانستان والمجد كله في اسمه
كما كانت الحكمة والهمة في جسمه رحمه الله

يافاجع الموت ماذا ينفع الحذر   وقد عهدناك لا تبقي ولا تذر
جنت أناملك الارواح فانتثرت   كما تناثر من أوراقه الزهر
وما بمانعهم ما قدروا وقضوا   وفوق كل قضاء في الورى قدر
من يتعظ فصروف الدهر موعظة   وما مواعظ دهر كله عبر
يا لهف (كابل) ما فاجأت كافلها   حتى درى كل قلب كيف ينفطر (٢)
فجعتها وفجعت العالمين بها   حتى النجوم وحتى الشمس والقمر
وجئت ضيغمها لكن بمخلبه   فما استطاعك ذاك الضيغم الهصر
قد كان يزجي المنايا للعدا زمراً   واليوم جئن له من ربه الزمر
وكان يأتيه ريب الدهر معتذراً   واليوم عنه صروف الدهر تعتذر
ما شب في غير الاحداث فكرته   الا اضاءت له الاحداث والغير

(١) سئل شاعرنا مرة لماذا لا يكثر من المراثي فقال : كثر الرثاء حتى أصبح صنعة تحترف وأسأل الله أن لا يفجعني في عزيز علي فأرثيه • واني ما تركت الرثاء لفي نعمة أحمد الله عليها • (٢) كابل او كابول هي عاصمة امارة أفغانستان

ولو روى الفلك الدوار حكمته   لأمست الشهب فيه كلها سور
والدهر يومان يوم كله قدر   لاصفو فيه ويوم بعضه كدر
وما تبسم للايام مختبل   الا تفجع بالايام مختبر (١)
سلوا المآثر عنه فهي خالدة   في كل قلب له من حبه أثر
واستخبروا الشرق فالشمس كاسفة   فما جهينة الا عندها الخبر (٢)
يا شامخا دكه ريب المنون أما اه   تز الحطيم وركن البيت والحجر
هذي المدافع والاسياف ناطقة   في الغرب والهند بالافغان تفتخر
طارت بنعيك في الاسلام بارقة   فانهل دمع بني الاسلام ينهمر
خطب قلوب الورى من حر جاحمه   كأن نار الوغى فيهن تستعر
فما لأنباء هذا السلك خائنة   حتى المدامع خانت سلكها الدرر

وقال

يرثي الاستاذ الحكيم • والفيلسوف العظيم • المرحوم السيد عبد الرحمن افندي الكواكبي

أحقا رأيت الموت دامي المخالب   وفي كل نادعصبة حول نادب
وتحت ضلوع القوم جمراً مؤججاً   تسعر ما بين الحشا والترائب
وفي كل جفن عبرة حين أرسلت   رأوا كيف تهمي مثقلات السحائب

(١) المختبل بالفتح الذي مسه الجنون

(٢) جهينة قبيلة من قضاعه خرج منها الاخنس بن كعب مع الحصين بن سبيع فصادفا في طريقهما رجلا يأكل فدعاهما الى طعامه فنزلا اليه ثم قام الاخنس لبعض شأنه وعاد فاذا صاحبه قد فتك بمضيفهما وأحس منه بمثل ذلك فما زال به حتى قتله ورجع أدراجه فالفى امرأة الحصين تنشده فر وهو يقول من ابيات

تسائل عن حصين كل ركب   وعند جهينة الخبر اليقين

فارسلها مثلا يضرب لمن عنده حقيقة الخبر

أبى الموت الاوبة تصدع الدجى … وكم ليلة قد باتها غير واثب

فما انفلق الاصباح حتى رأيته … وقد نشبت أظفاره بالكواكب(ى) (١)

وكم في حشا الايام من مدلهمة … قد ازدحمت فيها بنات المصائب

هوى القمر الوهاج فأخبطه في السرى … اذا لاح ضوء النجم بين الغياهب

ووطن على خوض المنيات أنفسا … تساوقها الآجال سوق النجائب

فهن العوارى استرجع الموت بعضها … وقصر البواقي ماجرى للذواهب (٢)

أبعد حكيم الشرق تذخر عبرة … وما هو من بعد الرحيل بآيب

حثوا فوق خديه التراب وأرسلوا … عليه سحابات الدموع السواكب

ولو رفعوا فوق السماكين قبره … لما بلغوا من حقه بعض واجب

لتبك عليه الصحف في كل معرك … اذا ما انتضى أقلامه كل كاتب

فقد كان إن هز اليراع رأيته … يصول بامضى من فرند القواضب (٣)

ولم يك هياباً اذا حمس الوغى … ورفرفت الاعلام فوق الكتائب

وكانت سجاياه كما شاءها الهدى … وشاءت لاهليها كرام المناقب

ولا بدع ان تعزى الكواكب للعلى … وقد نسبته نفسه للكواكب (٤)

سلوا حامليه هل رأوا حول نعشه … ملائكة من حارب خلف حارب

---

(١) التورية هنا لا تخفى الا اذا خفيت (الكواكب) في الليلة الصافية . وقد قضى رحمه الله ليلا

(٢) قصر الشئ وقصاراه غايته (٣) الفرند هنا السيف الذي لا نظير له فالاضافة بيانية

(٤) هذا البيت غاية في حسن التعليل وغاية في المدح لان الياء في (الكواكبي) للنسب ولم يرض ان يقول ان اهله نسبوه اليها فقال ان نفسه نسبته دلالة على ان ذلك بجده . لا عن ابيه وجده ومن يعرف سيرته رحمه الله لا يجد ذلك شيئاً عجيباً

وهل حملوا التقوى الى حفرة الثرى … وساروا بذاك الطود فوق المناكب

وهل أغمدوا في قبره صارما اذا … تجرد راع الشرق أهل المغارب

فكم هزه الاسلام في وجه حادث … فهز صقيل الحد عضب المضارب

أرى حسرات في النفوس تهافتت … لها قطع الاحشاء من كل جانب

وما بعجيب ان ذا الدهر قلب … إذا كان في أهليه كل العجائب



باب التقاريظ

قال

لسان العرب . وتاج الادب . والقاموس المحيط . صاحب السعادة محمود سامي باشا البارودي أطال الله بقاءه :

أبني القرائح أبشروا بطريقة — سمح الزمان بها وكان بخيلا
كلم كسلك الدر لا أم بينها — طبع أجاد فأحكم التفصيلا
بدوية النسب الصريح فلن ترى — لفظاً بأثناء الكلام دخيلا
بارت (زهيراً) في المقال وطاولت — «كعباً» وفاقت في النسيب «جميلا»
بلغت مدى الاطراب حتى انها — لتكاد تحدث في الجماد مميلا
بهرت برونقها العقول وغادرت — لهوى العيون الى الفؤاد سبيلا
كالروض باشره الندى فترنمت — فيه الحمائم بكرة وأصيلا
وترددت فيه الصبا فتنفست — نفساً تصح به النفوس عليلا
لاعيب فيها غير فضل براعة — كالسحر يخدع أنفساً وعقولا
ردت علي هوى الشباب وأذكرت — عهداً كمرآة السماء صقيلا
ومن العجائب ان لي بسماعها — طرب النزيف وماشربت شمولا
نظم امرئ غاصت قريحته على — در الكلام فصاغه اكليلا
طلب الفصيح من الكلام فناله — بعزيمة تدع الحزون سهولا
هو «صادق» فيما علمنا كاسمه — وكفى بذلك في الوفاء كفيلا
فليبق محمود البيان ممتعاً — بالفضل حتى يبلغ المأمولا

وقال

نجم الآفاق . وجوهرة العراق . مالك رقاب القوافي . الاستاذ أبو المكارم الشيخ عبد المحسن الكاظمي نزيل مصر . وواحد العصر . وقد فرغ حفظه الله من سحر يراعته . لساعته . فجاء بديعة البدائه . ونادرة البدائع :

أنفس مايقتنى ويكتسب — علم يزين النفوس أو أدب
وأشرف المعليات معرفة — تدنو بها للعلا وتقترب
وأرفع النيرات منزلة — وجه بلألاءه تكشف الكرب
وليس مثل الآداب واسطة — يرقب فيها ماليس يرتقب
ولم يكن من فضيلة بدلا — مال حوته الأكف أو نشب
هل نيل شيء من غير ماسبب — لكل شيء ترومه سبب
من جد في الامر نال بغيته — ولا ينال الأماني اللعب
ولم يكن شافعاً لمطلبه — كعزمه حين يحمد الطلب
وليس للمرء منتمى أبدا — كالفضل يزكو به وينتسب
من لم يكن فضله له حسبا — فماله في زمانه حسب
يبلى الجديدان والفضائل ما — تبلى وتمضي السنون والحقب
وهي على مرهن باقية — تضفو عليها مطارف قشب
طوبى لمن راح وهي أهبته — اذا أعدت في المأزق الأهب
كل شجاع ينجو الغداة ومن — كان جباناً لم ينجه الهرب
وما سواء في كل معترك — بواسل لاتحيد أو هيب

وما شؤون الرجال واحدة … ولا جميع الأنام تنتجب

شتان من زان ذكره نسب … ومن تحلى بذكره نسب

كذاك من يعتلي برتبته … ليس كمن تعتلي به الرتب

وخير مايعظم الخطيب به … اذا اشرأبت في المجمع الخطب

وجن ليل الخصوم والتحمت … مواقف تلتظى وتلتهب

أو جن دهر وطار في رهج … كل شرار ونابت النوب

عزم طرير الغرار مضربه … ومذود باتر الشبا ذرب

تسمو بجديها لكل سما … تقصر عنها القني والقضب

والنطق يوليك كل مكرمة … سافرة ما لوجهها نقب

يحتقب القول مايطيب وما … كل صنوف المقال تحتقب

كم دونوا في الورى وكم كتبوا … وليت ما دونوا وما كتبوا

ولم يكن للأريب فاكهة … يلذ منها المهذب الأرب

ولم يكن للأديب تسلية … ان عاده الهم وهو مكتئب

ولم يكن من علالة لفتى … أمست حشاه بالوجد تنتهب

وليس من دوحة لذى أدب … يجذب من غرسها فتنجذب

كالشعر اما صفت موارده … ولم تكن بالأجين تؤتشب

وأحسن الشعر ما يروق وما … هزك اما تلوته الطرب

ضروبه جمة فيوم ترى … ضرباً حلا منه فهو لا الضرب

ومدعوه كثر فمن خصب … وآخر ربع فكره جدب

فواحد تجتني أزاهره … وواحد في ثراه يحتطب

هذا بحق كان الشهير وذا … منتحل شهرة ومغتصب

ان قيل في حلبة القريض بمن … تحرز عند التسابق القصب

أو قيل من في النظام لهجته … تفتض عن نشر صدقها العيب

« فمصطفى صادق » أبر فتى … حدث عن فضله ولا كذب

« الرافعي » الذي به ارتفعت … أرهاط هذا القريض والشعب

شب فشبت من فطنة معه … نفس لدى النظم شأنها عجب

من يفع ناشئ أتتك بما … تعجز عنه الكهول والشيب

ان قال لم يبق مايريب وما … كل مقال تجلى به الريب

أو وصف القوم في مساكنهم … وجدتهم حضرا وهم غيب

أنظر لديوانه الذي نشرت … آياته فانطوت به الكتب

أرى شموساً تبدو أشعتها … ولم تكن كالشموس تحتجب

من كل معنى كالراح من لطف … تقطب في دنها فتقتطب

أجزاؤها قد تناسقت فغدا … يأتلف الماء فيه واللهب

في كل لفظ كثغر غانية … مفلج الريق زانه شنب

أو مثل كأس ابريقها غرد … مقهقه حيث يرقص الحبب

فكل بيت كأنه فلك … تدور فيه الكواكب الشهب

أو غصن فوقه شدا طرباً … نشوان من خمرة الصبا طرب

أو مألف طيب الشذا خضل … تبرز فيه المهى وتنسرب

أو منزل يألف الغريب له … ولم يكن عن حماه يغترب

أو ساحة تفرج الهموم بها … حيث تضيق الساحات والرحب

تلك معاني القداح أم مقل … وذي قداح الالفاظ أم هدب

فهي كما تشتهي القلوب لنا … سواحر انما بدت ديب

أم كل روح من الحياة مشت   في كل جسم ماسه وصب
مثل حواشي الغدران تبسم عن   ثغر زها النور فيه والعشب
أو كضروع السما تدر على   رضائع الزهر حين تحتلب
شعرك « يامصطفى » اصافية   بحوره كل وردها عـذب
ان تنتخب من سواك قافية   فذي قوافيك كلها نخب

وقال

فخر الدولتين السيف واليراع والمنفرد بين الشعراء بالابداع وسلامة الاختراع طائر مصر المحكي وشاعرها حضرة صديقنا الحميم محمد حافظ افندي ابراهيم

قد قرأنا نظيمكم فرأينا   حكمة كهلة وشعراً فتيا
وتلونا نثيركم فشهدنا   كاتباً بارع اليراع سريا
خاطر يسبق العيون الى القلـ   ـب ويطوى منازل البرق طيا
ومعان كأنها الروح في الصيـ   ـف تهز النفوس هز الحميا
من بنات المحار يصبو اليها   تاج كسرى وتشتهيها الثريا
إنه « يارافعي » احسنت حتى   لا أرى محسناً بجنبك شيا
أنت والله كاتب حضري   ان عددناك شاعراً بدويا

وقال

حضرة صديقنا الشاعر المتفنن . والاديب الشهير . الاستاذ السيد مصطفى لطفي المنفلوطي :

يا ناظما سحر البيان الذي   يعيي به الشاعر والساحر
احييت مجد الشعر في امة   بات عفاء مجدها الغابر

ينطق فيها شعرها مثلما   ينطق فيها الطلل الداثر
فكان كالذابل من روضة   وانت منه الصيب الماطر
تنظم ما يعجز عن نظمه   في النيرات الفلك الدائر
وتودع الحكمة فيه كما   ضم سواد الناظر الناظر
والشعر كل الشعر في حكمة   يوحي بها للانفس الخاطر
والشعر ان لم يك من « صادق »   فيه فلا شعر ولا شاعر

وقال

حضرة نجل عمنا الشاعر المجيد . والاديب اللوذعي . محمد افندي محمود الرافعي :

سرى فأرق عين الهائم الوصب   طيف تعمد من ترداده نصبي
وبت والقلب أسوان تساوره   ذكرى الغرام وذكرى الخرّد العرب
اذا ذكرت الصبا هام الفؤاد جوى   وأسبلت مقلتي كالواكف السرب
يا نفس لا تتخذي ذكر الهوى شغلا   فآفة النفس بين اللهو واللعب
ذرى الغرام وسامى المجد واستبقي   الى القريض تنالي غاية الارب
فبالقريض ترجى كل مكرمة   وبالمآثر لا بالبيض واليلب
أرى من الشعر ديواناً قد اتسقت   فيه المعاني اتساق اللؤلؤ الرطب
حوى من المعجزات الغر ما قصرت   عنه الافاضل من عجم ومن عرب
شعر اذا تليت آياته ابتسمت   له العقول ابتسام النور للسحب
كأن الفاظه من دقة لطفت   أو رقة عذبت صيغت من الذهب
فيا حماة القوافي لا حمي لكم   الا بمذود ذاك الماجد العربي
هيهات أن يبلغ الاقوام مبلغه   أو يدركوا شأوه في حلبة الادب

ويا سمير العلا لازلت في جذل والكاشحون مدى الايام في تعب

لو قارنوا بك اقواماً عهدتهم تبينوا الفرق بين الترب والشهب

وقال

حضرة صديقنا الشاعر المطبوع والاديب البارع الشيخ حسين المهدي وقد جاءنا تقريظه متأخراً :

رأيناه رأيناه بلؤلؤه ولألاه

قريض لم يحل بسمع الا وحلاه

جمعت به من الآيات ما اوحى به الله

فلو شعراؤنا سمعوه قبل اليوم ما فاهوا

وما اجزل مبناه وما افحل معناه

أساليب « ابي الطيب » « والرافعي » اشباه

ولكن ذاك كذاب فخاب لذاك مسعاه

وهذا « صادق » والصد دق أصل في مسماه

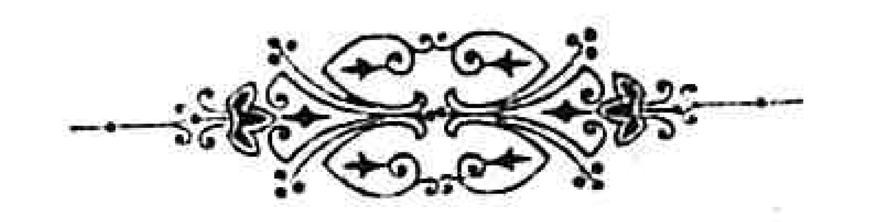
بمن كنا عرفنا السحر في الاشعار لولاه

عريق في الخلال الغر تنميه سجاياه

فكل الناس من اخلاقه الحسنا أحباه

تنبأ بالقريض ولو دعانا لاجبناه

فذا الديوان معجزة تؤيد صدق دعواه



﴿ اعتذار وتنبيه ﴾

نعتذر لحضرات الشعراء الذين تفضلوا بالتقاريظ ولم نتمكن من نشرها ونذكر لحضرات القراء أن موعدهم بالجزء الثاني من هذا الديوان قريب بعونه تعالى وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

بيان الخطأ والصواب

وقعت في الكتاب اغلاط مطبعية اثبتناها هنا ليصححها حضرات القراء

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٧	٧	زهريات	زهديات
٧	١١	الجهم	ابن الجهم
٢٤	١٠	الافهام	والافهام
٢٥	١٣	فوق	فوفق
٤١	٢	يجني	بجني
١٠٦	٤	طال . ابلي	طالت . لياتي
١١٠	١٤	تبقى	تبغي
١١٠	١٨	(زلنا روحة الخ	(زلنا دوحة ثغنا عاينا حنو الخ)
١١١	٨	ضنيت	جنيت
١١١	٢٠	حمي	هي
١١٢	٩	فيه	في
١١٣	٣	فوقه	فوق
١١٣	١٨	الغيث	العتب

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١١٤	٥	نواديه	نوادبه
١١٤	٦	فبتنا	فبتن
١١٤	١١	أصفي	تصغي
١١٤	١٣	تبت . تجني	نبت تجني
١١٤	١٨	تغني بأسينا	يغني تأسينا
١١٥	١	سجايا	تحايا
١١٦	١	(التزام)	(التزام)
١١٨	١٦	رؤاسيها	رواسيها
١١٩	١٥	قال	نال
١٢٢	٩	تجئنا	تحيئنا
١٢٣	٧	صديق	صديقاً
١٢٤	٩	لغير قلبي	ليس قلبي
١٢٦	٩	تصدق	تصدف
١٣٠	٦	خانه	خان
١٣٠	١١	وجفون	وجنون
١٣٣	٣	سامغ	سائغ
١٣٨	١٩	فار قدي	فر قدي
١٤١	٥	مرآته للصدر	مرآتها للصور
١٤١	١٣	ذاك الموت	ذاك والمجد
١٤٣	٢	قدر	كدر
١٤٤	١٥	حارب خاف حارب	حادب خاف حادب
١٤٦	٥	لأم	لاءم
١٤٦	١٧	في الوفاء	بالوفاء

